مجلة "منبر التراث الأثري"
ISSN: 2335-1500, EISSN: 2602-7267
المجلد:03؛ العـــدد:01؛ (2014)
ص 235-307

تطور المحراب في عمارة المغرب الأوسط خلال العصر الإسلامي.
(من بداية الفتح الإسلامي إلى نهاية عصر الدولة الزيانية)

د. مطروح أم الخير
المركز الوطني للبحوث الأثرية

تقـديم:

تعتبر العمارة الإسلامية من أهم فروع الدراسات المتعلقة بالآثار الإسلامية عموما، فهي تعبر عن المراحل التي مرت بها العمائر الإسلامية خلال تطورها عبر مختلف العصور، منذ قيام الدولة الإسلاميـة، و ذلك ببناء المسجد النبوي بالمدينة، إذ يعتبر هذا الأخير ، هو الأساس الذي بنيت عليه المدينة الإسلامية، و ظل أصلا يحتذي به في بناء جميع مساجد الدول الإسلامية على قواعده التي أسست في عهد الرسـول -صلى الله عليه و سلم – و تطورت و أضيفت إليها عناصر خلال و بعد حكم الخلفاء الراشدين.

إن الدارس للآثار الإسلامية سيجد أن العمارة الدينية (المساجد) بصفة خاصة حضيت باهتمام المسلمين، و نالت الحظ الأوفر من البناء، لأنها كانت و مازالت تعبر عن كيان مجتمع بكل شرائحه ، فالاهتمام ببناء المساجد يرجع إلى أن أول بناء يجب أن يقام عند بناء أي مدينة إسلامية ، وهو المسجد، تأسيا بالرسول – صلى الله علية و سلم- عند بنائه لمسجده، فهي وسيلة من وسائل التقرب إلى الله عز و جل يتخذها المسلم ، و ذلك بالاهتمام ببنائها و تشييدها و تجديدها ، و كانت نتيجة ذلك الاهتمام أن تتوفر البلاد الإسلامية على عدد هائل من المساجد التي تعود إلى عهود مختلفة منذ العصر الأموي الذي يعتبر أولى مراحل تطور العمارة الإسلامية بعد ظهورها في عهد الرسول – صلى الله عليه و سلم- و الخلفاء الراشدين بعده.

لقد بقيت من العصور الإسلامية في المغرب الأوسط مجموعة من المساجد بها محاريب قائمة و بالغة الأهمية، في تطور العمارة من حيث اختلاف مواضعها و تواريخها و أشكالها و موادها و زخارفها، إلا أنها لم تحظى بدراسات وافية من قبل المختصين في الآثار.

و ما لفت انتباهي إلى هذا الموضوع الخاص بالآثار الإسلامية جدة البحث فيه و طرافته، وخلو المكتبة العربية من مؤلفات جامعة لهذا الفن بالمغرب الإسلامي في العصور الوسطى ، و لان دراسة عنصر المحراب يعتبر فرعا من فروع الدراسات الأثرية الإسلامية و المغربية خاصة.

كما أن دراسة هذا الموضوع تعد من بين الدراسات الهامة و الجادة في إبراز و كشف النواحي السياسية و الإدارية الفنية و المذهبية للدول التي تعاقبت على حكم هذه المنطقة.

على الرغم من الدراسات و البحوث التي أجريت على المغرب الإسلامي في العصور الوسطى، فإنها تكاد تنحصر في النواحي التاريخية و السياسية و الفنية، دون إعطاء هذا الموضوع حقه من البحث و الدراسة، بطريقة علمية و موضوعية جامعة.

لهذه الأسباب جميعها وقع اختياري على موضوع تطور المحراب في عمارة المغرب الأوسط خلال العصر الإسلامي، و هي فترة طويلة نسبيا تبدأ من بداية ظهور عنصر المحراب في المشرق و المغرب إلى نهاية العصر الزياني بالمغرب.

أولا : أهمية دراسة المحاريب في العمارة الإسلامية:

لعلي لا أبالغ إذا قلت بأن المحاريب في العمارة الإسلامية عامة، تعتبر من بين الموضوعات الهامة، و هذا الموضوع يكتسي طابعا هاما في ميدان الدراسات الأثرية الإسلامية عامة، و المغربية خاصة، ذلك أن دراسة هذا الموضوع دراسة موضوعية يميط اللثام عن جوانب مختلفة من تطور المجتمع الإسلامي في المغرب، و الذي بلـغ مداه في عصر المرابطين و الزيانيين و المرينين و العصر العثماني.

نشأت العمارة الإسلامية كحرفة بسيطة في البناء في أبسط أشكاله، ثم تطورت حتى كوَّنت مجموعة الفنون المعمارية المختلفة. وفن العمارة من أهم مظاهر الحضارة،أنها مرآة تعكس آمال الشعوب وأمانيها، وقدراتها العلمية وذوقها وفلسفتها، ومن الحقائق الثابتة أن العمارة كانت دائمًا الصورة الصادقة لحضارة الإنسان وتطورها وانعكاسًا لمبادئه الروحية على حياته المادية،بما يكتب عليها-أي على العمارة- من كتابات وما ينقش عليها من نقوش.

وقد اشتمل الفن المعماري الإسلامي على عدة أنواعٍ منها: فن عمارة المساجد، وهو أرقى فن معماري عند المسلمين، وقد برع المسلمون في فنون العمارة بكل أشكالها؛ لأنهم فهموا نماذج العمارة في الحضارات السابقة ثم طوروها بما يتناسب مع عقيدتهم ودينهم، ثم أبدعوا بعد ذلك نموذجًا إسلاميًّا خاصًّا بهم.

و سنضرب أمثلة من فن العمارة الإسلامية لبعض العصور الإسلامية حتى نكشف عن مدى محافظة المسلمين على أسس وقواعد البناء الإسلامي.ففي عصر النبوة و الخلفاء الراشدين طبق المسلمون قواعد البناء أروع تطبيق.

فقد بنى النبي صلى الله عليه و سلم (المسجد النبوي بالمدينة، وكان هذا المسجد بسيطًا، بما يتفق مع روح الدين الإسلامي، ومع قواعد وأسس البناء في الإسلام، وكان المسجد مربعًا، وصحنه الأوسط مكشوفًا، لا سقف عليه، أما جوانبه الأربعة فكانت مسقوفة، وكانت المساحة المسقوفة من الحائط المجاور للقبلة أكبر من غيرهـا، وجدير بالذكر الإشارة إلى أهمية وجود الصحن المكشوف في وسط المسجد للإضاءة والتهوية.

وقد تم توسيع المسجد بعد عهد رسول الله (، ففي عهد عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- سنة (17 هـ)، زيد في مساحة المسجد، ونتج عن هذه الزيادة زوال الجدران التي بناها الرسول الكريم ، ماعدا الجـدار الشرقي التي كانت تلتصق به بيوت النبي ، وقد اتبع المسلمون التخطيط الذي وضعه الرسول صلى الله عليـه و سلم لمسجده.

توالت العصور و أنشأت المساجد و اتسمت بسمات فنية معمارية كثيرة منها عنصر المحراب الذي يعتبر مظهرا من مظاهر الحضارة الإسلامية، تجملت به مساجد المشرق و المغرب الإسلامي، فهو من الموضوعات الهامة التي تهم الباحث في الدراسات التاريخية والأثرية، كما يعتبر مصدرا عـلاوة عن ارتباطه بالفنـون الإسلاميـة كالكتابات الأثرية، و تطور الخط العربي. فالكتابات الواردة على المحاريب بما تحويه من آيـات قرآنية وألقـاب و أسماء أو تواريخ أو عبارات قد تؤثر تأثيرا واضحا على تحديد بعض الحقائق التاريخية.

ثانيا: تعريف المحراب لغة و اصطلاحا.

-1 **لغـة:** هو عنصر معماري يتواجد في المساجد و الجوامع و الزوايا و المدارس و هو التجويف أو ألحنية الموجودة في جدار القبلة.

أخذت هذه اللفظة من الفعل حرب، ومحراب جمع محاريب ويقال في هذا الصدد: (فلان حرب لفلان، أي استعد له أو بينهما بعد وتباغض).

وذكر ابن منظور: ((أن رجل الحرب شجاع، و محراب شديد الحرب، ومحراب صاحب حرب)).[1]

وذكر أن المحراب هو المكان الذي ينفرد به الملك ويتباعد عن الناس، وقيل أن المحاريب هي صدور المجالس، ومنه سمي محراب المسجد، والمحراب قبلة المسجد، وسمي محرابا لإنفراد الإمام فيه وبعده عن الناس.

ويطلق هذا الاسم على الغرفة وفي هذا الصدد قال وضاح اليمني:

ربة محراب إذا جئتها - لم ألقها أو أرتقي سلما[2].

يعني أن المحراب هو أرفع مكان في الدار و ألمسجد[3] .

واشتقاق لفظ محراب أخذ من المصدر (محاربة) لأن المصلى عند صلاته يحارب الشيطان ويحارب نفسه بإحضار قلبه[4].

وذكر الزبيري أن المحاريب هي صدور المجالس، وصدر البيت وأكرم موضع فيه[5].

في حين يذكر ابن منظور عن الإمام أبي حنيفة عن أبي عبيدة: أن المحراب أكرم مجالس الملوك وسيدها ومقدمها وأشرفها[6]، وجاء في بيت شعر يتضمن مايلي:

أو دمية المحراب قد لعبت بها - أيدي البناة بزخرف الأتراصي[8]،[7].

وفي هذا البيت يقصد بلفظة محراب الغرفة أو المكان المفضل حيث أحكم الصناع في صناعته وزخرفته.

وجاء في ديوان امرؤ ألقيس بيت شعر يتضمن المعني السابق الذكر للمحراب، فيقــول:

وماذا عليه إن ذكرت أوناسا - كغزلان رمل في محاريب أقيال.[9] ،[10].

وذكر ابن منظور عن الأصمعي عن أبي عمرو بن العلاء، قال:

(دخلت محرابا من محاريب حمير، فنفخ في وجهي ريح المسك)، فالمحراب معناه القصر[11]؛ أي أن العرب كانت تسمى القصر محرابا لشرفه ورائحته الطيبة،وجاء في ديوان عمر بن أبي ربيعة هذا البيت:

أو دمية عند راهب ذي اجتهاد - صورها في جانب المحراب[12]

استعمل هذا المعنى قديما في الشعر الجاهلي، و معناه التجويف الذي يوضع فيه التمثال.

ومن خلال هذه النصوص نستخلص أن للمحراب معاني متعددة، و هي:

- ❖ الاستعداد لفعل الشر أو البعد والتباغض.
- ❖ الشجاعة عند المحارب.
- ❖ محاربة الإنسان للشيطان عند القيام بالصلاة.
- ❖ أهمية الموضع في البيت أو المسجد، كما يعني به تحديد اتجاه القبلة عند المصلى.

❖ المحراب هو صدر البيت و أكرم موضع فيه و الجمع محاريب و هو أيضا الغرفـة.

❖ المحراب في اللغة يعني الدخلة أو التجويف في المعابد القديمة، أو الكوة التي توضع فيها الأشياء أو التماثيل.

ومهما اختلفت الآراء، فهي في مجملها تؤدي إلى لفظ واحد وهو المحراب، فأصبحت هذه الكلمة بعد ظهور الإسلام تعني شكلا معماريا في المسجد، يشير إلى اتجاه القبلة واتجاه مكة، وأنه المكان الذي يقف فيه الإمام ليؤم المصلين.

-2 اصطلاحا:

لقد ورد اصطلاح المحراب عند المسلمين في الكتاب والسنة والأمر الذي دفعني إلى البحث والتحري في الآيات والأحاديث التي تشير إلى المحراب لفظا ومعنا لأحدد مفهوم إصلاحه، وبرجوعي إلى المصحف الشريف وجدت للفظة- المحراب- قد وردت في عدة آيات، نذكر منها الآية الكريمة:بعد بسم الله الرحمن الرحيم ((**كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا**))[13].

فالمحراب هنا يعني إما قاعة الاستقبال أو المقصورة أو بيتا خصص لمريم بينما نجد الآية التالية: (**فنادته الملائكة وهو قائم يصلى في المحراب.....**)[14]. ،ولفظة محراب في هذه الآية معناها المسجد[15].

وفي سورة مريم عليها السلام قوله تعالى:(**فخرج على قومه من المحراب فأوحى إليهم أن سبحوا بكرة وعشيا**))[16].

والمحراب في هذه الآية هو المسجد أو المصلى، وتفسير هذه الآية: أن النبي عليه السلام أشرف على قومه من المصلى أو المسجد[17] والمحراب أرفع مكان وأشرف المجالس بحيث كانوا يتخذون المحاريب أرفع من مستوى الأرض، والدليل على ذلك هو محراب داود عليه السلام[18].

وفي سورة سبأ قوله تعالى: ((**يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفاف كالجواب وقدور راسيات**....))[19]. فالمعنى واضح في هذه الآية، وهو أن الجن يعملون لسليمان ما يشاء من محاريب؛ أي قصور ومساجد،ومعناه أيضا المساكن أو البنايات[20].

ونستخلص من هذه الآيات أن المحراب يقصد به الغرفة العالية أو المسجد أو المصلى، وهو شكل معماري اتخذ في الجدار لتحديد اتجاه القبلة.

وقد ورد ذكر المحراب في أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم، كما يبدو من هذا الحديث: (فقد

أرسل عروة بن مسعود إلى قوم له في الطائف فأتاهم ودخل محرابا له فأشرف عليهم عند الفجر ثم أذن للصلاة)[21]. فالمحراب في الحديث الشريف يقصد به الغرفة العالية التي يصعد إليها بسلم.

و طبقت هذه اللفظة في الإسلام على الموضع الذي كان يصلى فيه الرسول صلى الله عيه وسلم، و مصلاه يبعد عن جدار القبلة بمقدار ثلاث أذرع.[22] محاذيا لجدار القبلة، وهذه المساحة تكفي لركوع وسجود الإمام، وهذا المكان أشرف موضع في المسجد،لأن النبي عليه السلام يقف ويؤم المسلمين في الصلاة.

ويذكر السمهودي: (**أن هناك وزرة رخامية في جدار القبلة مثبت بها وتد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتكئ عليه عند وعظه لرفاقه وللمؤمنين**)[23].

لقد أشار أبو هريرة إلى أنه هناك قطعة حجارة تبين اتجاه القبلة مثبتة في الجدار الشمالي، وعندما حولت القبلة إلى مكة المكرمة حولت تلك الحجارة إلى الجدار الجنوبي[24]، وحسب هذا الحديث الشريف وضعت هذه الحجارة ليتمكن المصلى من تعيين اتجاه القبلة أثناء الصلاة.

وقال الإمام الشيباني في حديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، ((**إذا صلى أحدكم فليجعل تلقاء وجهه شيئا، فإذا لم يجد فلينصب عصا فإذا لم يكن فليحظ خطا ثم لا يضره من مر بين يديه**))[25].

وكان الرسول عليه الصلاة والسلام يتخذ من الصحراء مصلى للمسلمين، مركزا أمامه عند صلاته في الفضاء الحرية[26]أو العنزة[27] سترا له، لتحديد اتجاه القبلة.

وعن ابن مسلم بن السائب عن أنس بن مالك حيث قال :((كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يضع يمينه على العود الموجود داخل المصلى ثم يلتفت إلينا فيقول استووا واعدلوا صفوفكم))[28]. أما وظيفة الوتد فهي لا تختلف عن وظيفة العود أي أنهما مترادفان في استعمالهما ،فكان الرسول صلى الله عليه وسلم متوكئا عليه في محرابه الأول[29]، ومحراب الرسول (صلى الله عليه وسلم) في هذا النص مكان مصلاه.

و ذكر أن قبلة المصلى صندوقا خشبيا بديع الصنعة يعلوه محراب قد أنتج الصناع فيه نتائج مبدعة في صنعة النجارة، والمحراب المذكور شبه باب مقنطر لموضع لطيف على ظهر الصندوق المذكور، يحتوي على كتابة داخلية؛ أي في واجهة الباب، البسملة وآية الكرسي. وعلى ظاهر الباب بعد البسملة الآية الكريمة:((**قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا**))[30]صدق الله العظيم.

وجاء في صحيح البخاري عن سهل بن أبي حثمة أنه قال (إذا صلى أحدكم إلى ستر فليدنوا لا يقطع الشيطان عليه صلاته) [31].

وكان أحب إلى الرسول صلى الله علية و سلم الصلاة إلى جهة الأسطوانة ،قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه مما وصله ابن أبي شيبة:(المصلون أحق بالسواري في التستر بها ،ورأى ابن عمر رجلا يصلي بين أسطوانتين فأدناه أي قربه إلى سارية فقال : صل إليها، وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يتحرى الصلاة عند الأسطوانة، لأنها أولى أن تكون سترا له من العنزة[32].

إن لفظة محراب في السنة نعني بها ورودها في الأحاديث النبوية الشريفة، حيث وردت الإشارة إلى مصطلح المحراب في أحاديث كثيرة اكتفيت بذكر البعض منها نظرا للمعنى.

بعد استعراض الأحاديث النبوية الشريفة استخلصنا مايلي :

أنه مهما يكن ومهما اختلفت الآراء، فإن استعمال كلمة محراب بعد ظهور الإسلام تعني شكلا معماريا داخل المسجد لتحديد المكان المميز لاتجاه القبلة.

-3 الأصول المعمارية لنشأة المحراب:

استنادا إلى البيئة التي نشأ فيها الرسول صلى الله عليه وسلم والتي انبعثت منها الرسالة المحمدية، فإن مصدر وأصل المحراب يكون في شبه الجزيرة العربية ويؤكد هذه الظاهرة الدكتور جون سوفاجي[33] J. Sauvaget بقوله :(أن كلمة محراب أخذت من الحبشة ، كما أعتقد أنها مأخوذة من شبه الجزيرة العربية).

وقد وردت اللفظة في كثير من أبيات الشعر العربي المبكر، كما سبقت الإشارة إلى ذالك وجاء ذكرها في آيتين واضحتي المعنى والدلالة ،الأولى في سورة مريم وتمهد لها آيات سبقتها في قوله تعالى : ((**فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا**))[34].فالمعنى واضح في هذه الآية ومدلولها: أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج إلى قومه من المحراب – داعيا إياهم إلى ألإيمان؛ أي من مكان مقدس معد للعبادة والاتصال بالله عز وجل[35]. والثانية قوله تعالى :((**فنادته الملائكة وهو قائم يصلى في المحراب....**))[36].

وتفسيرها أن زكريا عليه السلام كان يناجي ربه في المحراب[37].

لقد سبقت الإشارة إلى أن الرسول صلى الله عليه وسلم اتخذ الحربة والعنزة والوتد أثناء إقامته الصلاة في الصحراء لتحديد اتجاه القبلة، ثم تطورت هذه العلامة لتصبح عبارة عن

محراب مجوف، ويؤكد هذه الحقيقة السمهودي بقوله :(أن الرسول صلى الله عيه وسلم كان يصلى في الكعبة وبينه وبين جدار القبلة ، ثلاث أذرع[38]، فالإمام يحتل ثلاث أذرع على طول جدار القبلة، ويحرم صفا كاملا من المصلين الصلاة داخل المسجد، لذلك الغرض اتخذ المحراب المجوف، مع تنوع أشكاله حسب التطور الزمني.

وفي هذا المضمار نجد جلال الدين السيوطي يقول: (أن أصل المحراب أخذ من مذابح الكنائس المسيحية) ويدعم هذا الرأي المستشرقون الذين جاؤوا بعده، أما الدكتور أحمد فكري فيرى غير ذالك، فقال:(أن المحراب المجوف صغير بحيث يكفي لركوع وسجود الإمام فيه، بينما مذبح الكنائس واسع يسهل على القائم بالشعائر الدينية أن يمشي فيه بسهولة ذهابا وإيابا)[39] والمذبح يرتفع عن أرضية الكنيسة في حين يكون المحراب بمستوى أرضية المسجد، وكذالك ينظر إليه المسيحيون نظرة تقديس وإجلال، بينما المحراب عند المسلمين هو رمز تحديد اتجاه قبلتهم.

أما بالنسبة للقائم بالشعائر المسيحية يقف مواجها للناس، بينما يكون ظهر الإمام أثناء وقوفه في المحراب مواجها للمصلين.

وقيل أن المحراب أخذ من المذابح القبطية وسبب ادعائهم هذا يعود إلى بعض العمال الذين استقدمهم الوليد بن عبد الملك أثناء إعادة بناء مسجد الرسول(صلى الله علية و سلم) كانوا من القبط[40]، وهذا ليس صحيحا أن يتصرف القبط في جدار القبلة والمحراب دون توجيه من المسلمين، بينما يرجع البعض أصل المحراب إلى الهياكل اليهودية، ولكن لو أراد المسلمون اقتباس هذا العنصر فلماذا لم يقتبسوه من الجزيرة العربية، ففي العصر الجاهلي كانوا يعبدون الأصنام والأوثان، وقد وضعت هذه التماثيل داخل تجاويف أطلقوا عليها اسم المحاريب، وظاهرة التجويف الذي كان يوضع فيها التمثال مستمدة من الجزيرة العربية وغيرها من البلاد الأخرى، وهي قريبة الشبه من حيث السعة؛ أي أن المحراب يكفي لركوع وسجود الإمام والتجويف يستوعب قامة تمثال لكنه يختلف عن المحراب، لأن تجويف المحراب يقع بمستوى أرضية المسجد، والتجويف الثاني غالبا ما يكون أعلى من مستوى أرضية المعبد، والفرق الثاني أن شكل تجويف التمثال مستطيلة، بينما أشكال المحاريب متعددة فمنها المسطحة والمجوفة والمستطيلة و المخمسة الأضلاع، هذه الأشكال تدل دلالة قاطعة على أن المحراب يعود الفضل فيه للمسلمين وتفننهم بهذا العنصر المعماري، ثم أن شكل المحراب لم يكن صعب عليهم

ابتكاره ولا هم بحاجة لاقتباسه لكونه شكل بسيط بالنسبة لباقي أجزاء المسجد الأخرى.

كما نجد نظريات متعددة عن نشأة المحراب المجوف، وقد أمدتنا المصادر التاريخية بمعلومات عن إدخال المحراب المجوف، كشكل معماري إلى بناء المسجد.

فالسمهودي في كتابه يقول: (**هناك وزرة رخامية في جدار القبلة مثبتة بها وتد كان الرسول صلى الله عليه وسلم، يتكئ عليه عند وعظه لرفقائه وللمؤمنين**)[41].

لقد أشار أبو هريرة رضي الله عنه إلى أنه كانت هناك قطعة حجارة تبين اتجاه القبلة مثبتة في الجدار الشمالي، وعندما حولت القبلة إلى مكة المكرمة حولت هذه الحجارة إلى الجدار الجنوبي [42] . و الجدير بالذكر أنه ليس من السهل معرفة أين ومتى تم إدخال أول محراب مجوف إلى المسجد.

أجمع المستشرقون على أن المحراب المجوف لم يدخل في المساجد الأولى، وبعض النصوص تشير إلى أن المحراب المجوف أول ما أدخل كان بمسجد الرسول صلى الله عليه وسلم في المدينة ، ويرجع زمنه إلى عمر بن عبد العزيز عندما ولاه الوليد بن عبد الملك على المدينة وقد أمره بهدم المسجد واعدة بنائه[43].

وذكر المقدسي: أن عمر بن عبد العزيز لما وصل إلى جدار القبلة عندما هدمه دعا مشيخة من أهل المدينة من المهاجرين والأنصار، فقال لهم : (**أحضروا بنيان قبلتكم لا تقولوا غيرها عمر، فجعل لا ينزع حجرا إلا ووضع مكانه أخر**)[44].

هذا النص يشير إشارة واضحة إلى أن المحراب المجوف كان موجودا في جدار القبلة قبل بناء عمر بن عبد العزيز المسجد، وهناك إشارة إلى وجود المحراب المجوف في زمن أبي بكر الصديق سنة 11 13-هـ/632 م634- م[45]، فقد وجد في زمن الخليفة عثمان بن عفان سنة 24- 26هـ/644 م – 646 م، وحسب الروايات التاريخية فإن عمر بن عبد العزيز لم يغير قبلة المسجد .

وجاء في رحلة بن بطوطة :أن عثمان بن عفان زاد في مسجد الرسول صلى الله عليه و سلم، وباشر بنفسه الأعمال ووسعه من ثلاث جهات إلا من جهة ألشرق ووضع له محرابا وقيل مروان هو واضع المحراب وقيل عمر بن عبد العزيز[46]. يقع محراب مسجد الرسول في وسط جدار القبلة بل أميل بحوالي 20 ذرعا إلى الشرق.

وذكر بعض المؤرخين أن محراب المسجد الأقصى الذي قام بوضع أسسه عمر بن الخطاب،

وشيد على أنقاضه عبد الملك بن مروان ألبناء الحالي، وهو يقع وسط هضبة صخرية واسعة، ويوجد تحت الصخرة محراب يعرف باسم قبلة الأنبياء[47]. وقد سجل بعض المؤرخين إلى أن قرة بن شريك قد أدخل المحراب في مسجد عمرو بن العاص بالقسطاس سنة80-79هـ/699-698 م [48]، وهناك نص آخر يذكر أنه عندما تولى قرة بن شيك مصر نزل بباب مسجد عمرو وصاحباه، فأتاهم حرس المسجد فقالوا لهم أن هذا مجلس الوالي ولكن في المسجد سعة[49]، يتضح من هذا النص أن القبلة معناها ألمحراب ويشير إلى أن المحراب هو المكان المخصص للإمام، والإمام هنا الوالي فهذه وثيقة تاريخية تشير إلى أن المحراب المجوف استعمل قبل ولاية قرة بن شريك على مصر.

أما بالنسبة إلى محراب مسجد الكوفة، فقد ذكرت فيه عدة روايات أهمها :رواية المسعودي الذي يذكر أنه عندما صرف الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه الوليد بن عقبة بن معيظ والي الكوفة عنها وعين مكانه سعد بن أبي وقاس، وبسبب عزله شرب الخمر مع ندمائه، فلما أذن المؤذن للصلاة تقدم إلى المحراب وهو سكران[50].

وجاء في رحلة أبن جبير عن مسجد الكوفة، أن في قبلته محرابا ملحقا عليه بأعواد الساج، ويرتفع عن صحن البلاط كأنه مسجد صغير وهو محراب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم وجهه[51]، فهاتان الوثيقتان صريحتان تشيران إلى أنه كان في أيام عثمان بن عفان محرابا مجوفا ولكن كان ذالك يحتاج إلى دليل أثري بواسطة الحفر لدعم هذه النصوص التاريخية.

أما ابن بطوطة فذكر أنه في جامع دمشق يوجد على يسار المقصورة محراب الصحابة كما ذكر المؤرخون أنه أول محراب وضع في الإسلام[52]. غير أنهم لم يشيروا إلى الشخص الذي قام بوضعه لمعرفة تاريخه، وهذا فضلا عن أننا لا نعرف شكل هذه المحاريب إن كانت مسطحة أم مجوفة، غير أن هناك أدلة ثانية على المحراب المجوف كان متخذا في مسجد القيروان سنة 50هـ/670 م وفي مسجد عمرو بالفسطاط79-80 هـ/698-699 م، وقد قام الدكتور أحمد فكري بنقيبات فعلية في محراب مسجد القيروان وتوصل إلى وجود المحراب الأصلي الذي وضعه عقبة بن نافع لكنه غطى بالقطع الرخامية التي وضعت في زمن زيارة الله الأغلبي الذي أراد أن يخفي معالم محراب عقبة ،وسبب بقاء المحراب إلى يومنا هذا أن الصحابي عقبة بن نافع وضع أسسه، وقد انتزع الدكتور أحمد فكري من المحراب لوحتين من مكانين مختلفين فظهر له جدار مكسو بطبقة من التراب قائمة اللون شديدة الرائحة ثم انتزع جزء من الغلاف الجيري فظهر له جدار المحراب المبني بحجارة غير منتظمة وجهات أخرى رصفت بالأجر المنتظم، مما يدل

على قدم البناء ولاحظ الدكتور أحمد فكري انحراف القبلة نحو الغرب بعدة درجات والسبب في ذلك أن عقبة بن نافع وأصحابه لم يكونوا على علم دقيق بتحديد اتجاه القبلة التي حددها عقبة ، ولأن المحراب كان من وضع الصحابي فترك تبركا به[53].

نستنتج من كل هذه النصوص أن رأي الدكتور أحمد فكري هو الأرجح، إذا يرى أن إدخال عنصر المحراب المجوف إلى المسجد هو ضرورة وظيفية، لأن المساجد التي ليس بها محاريب مجوفة يشغل الإمام منها صفا كاملا أثناء الصلاة، وعلى الإمام أن يقف وحده لإمامة المصلين، والمسافة المحصورة بين جدار القبلة والصف الأول من المصلين يمكن استعمالها من قبلهم، وعلى ذالك فإن وجود حنية في المسجد لازمه ضرورية ليشغلها الإمام، وهذه بدورها تجعل كثيرا من المصلين قادرين على تأدية الصلاة في ظلة القبلة بدلا من صلا تهم في الصحن.

إننا نميل إلى رأي الدكتور أحمد فكري ونستخلص أن السبب الوظيفي هو الذي دعا بنائي المساجد في صدر الإسلام إلى استحداث بناء محاريب مجوفة في المساجد، لتحديد اتجاه القبلة، و فكرة المحراب المجوف، - ألحنية النصف دائرية - كانت من أكثر الأشكال المعمارية استعمالا في الزخرفة المعمارية.

و نستخلص من هذا أن شكل المحراب في البداية كان شكلا بسيطا لم يقتبسه المسلمون من الكنائس المسيحية أو المعابد، يتوسط جدار القبلة ، و إن كان محراب المسجد النبوي في المدينة يبتعد عن الوسط الحالي اثني عشرا مترا باتجاه الشرق، وهو يحدد القبلة و يشير إلى اتجاه الكعبة، و يقع عادة في مساجد المغرب بشكل خاص مع المئذنة و المجاز القاطع على محور واحد[54] .

و ليس بالضرورة أن يكون المحراب جنية بل يكفي تعيين موضعه في جدار القبلة، و في بعض المساجد الأولى كان يكتفي بوضع علامة مثل اللواء تعين المكان الذي يقف فيه الإمام، و لم تظهر المحاريب المنحنية إلا خلال عصر الوليد بن عبد الملك، و نماذجها الأولى تشبه في هيئتها المحارة المقلوبة و خاصة في الجزء العلوي من ألحنية في هيئة المحارة بالضبط، و هذا ما نجده في مسجد الأقمر بالقاهرة و، و في مسجد قرطبة ، و هو المحراب الفريد الذي صنع في الزيادة الثالثة للمسجد و قد أمر بها عبد الرحمان الناصر و تمت على يد ابنه الحكم المستنصر ، و الجزء الأعلى من ذلك المحراب قطعة مرمر واحدة في هيئة محارة [55] .

كما يمكن الإشارة إلى المحاريب الركنية التي يقع نصفها في جدار و النصف الثاني في الجدار الملاصق المتعامد مع الأول، و هي ككل المحاريب تحدد اتجاه القبلة و لكنها لم تنشأ في المساجد

لصعوبة وقوف المصلين أمامها، بل أقتصر إنشاؤها على الأضرحة كالمحرابين المقامين في ضريح يحي بن القاسم في الموصل (738هـ/1240م) و ضريح الإمام عون الدين في نفس المدينة (646هـ/1284م).[56] .

لم يكن هذا العنصر معروفا قبل زمن الوليد بن عبد الملك، و هناك العديد من الكتاب الذين يشرون إلى أن المحراب المجوف الذي وجد بالمسجد النبوي بالمدينة، كان من ضمن ما ألحقه عمر بن عبد العزيز على المسجد أثناء بنائه له بصفته واليا على المدينة أيام الوليد بن عبد الملك[57].

و استنتاجا لما ما سبق يمكن ذكر أقدم المحاريب في العالم الإسلامي حسب التسلسل الزمني فيما يلي:

1. محراب المسجد الأقصى الذي وضع أسسه عمر بن الخطاب، ويعرف بقبلة الأنبياء أملس غير مجوف ينسب إلى الوليد بن عبد الملك.
2. محراب مسجد الكوفة، ويرجع تاريخه إلى عهد عثمان بن عفان سنة(24-26هـ/644-646 م).
3. محراب مسجد الرسول صلى الله عليه الصلاة والسلام بالمدينة، وهو الآخر يعود إلى عهد عثمان بن عفان حسب النصوص التاريخية.
4. محراب المسجد الجامع بالقيروان، الذي يعود إلى عهد عقبة بن نافع الفهري سنة (50 هـ/670 م).
5. محراب جامع عمرو بالفسطاط، ويعود إلى عهد قرة بن شريك سنة(80-79هـ/699-680 م).
6. محراب المسجد الأموي بدمشق، ويرجع تاريخه إلى الخليفة الوليد بن عبد الملك سنة (88 96-هـ/714-707 م).
7. محراب مسجد مدينة الإسلام، الذي أسس على يد أبو جعفر المنصور سنة (145هـ/762 م).
8. محراب المسجد الجامع بالأندلس، و أسس على يد عبد الرحمن الأول سنة(170-169هـ/ 785.786م).

4- وظيفة المحراب:

لقد وردت آراء كثيرة حول وظيفة المحراب، فذكر الدكتور أحمد فكري أن أهم وظيفة للمحراب المجوف هو أنه مكان مخصص لوقوف الإمام أثناء الصلاة، لكي لا يمثل صفا كاملا

ويحرم الكثير من المصلين في داخل قاعة الصلاة مما يضطرهم للصلاة في صحن المسجد، فتواجههم صعوبات الحر والبرد[58]، وقد أيد هذا الرأي العالم سوفاجي[59] (SAUVAGET). أما ابن الحاج فذكر أنه إذا كان المسجد متسعا ولم يضق بالناس فلا يدخل الإمام إلى المحراب، وإذا ضاق بهم فيدخل إلى الضفة المتقدمة، لأنه إذا لم يدخل يحتل بوقوفه خارجا عنه موضعا مبنيا من السجد وهو يسع خلقا كثيرا[60]. ونظرا لتعدد وظيفة المحراب يمكن حصرها في النقاط الآتية:

-4-1 **الوظيفة الأولى:** تندرج في دخول الإمام فيه، لأن النبي عليه الصلاة والسلام أثناء تأدية الصلاة كان يترك بينه وبين جدار القبلة ثلاث أذرع وأقله ممر شاه، ولهذا اضطر المسلمون إلى ابتكار المحراب المجوف لوقوف الإمام فيه وأبدعوا في أشكاله حسب الأزمنة والعصور.

-4-2 **الوظيفة الثانية:** تتمثل في تحديد جدار القبلة، فالمصلى يحتوي على أربعة جدران، والكثير من عامة الناس عند دخولهم المسجد لا يعرفون إلى أي جهة يتجهون، ولهذا اتخذ المحراب في جدار القبلة لتميزه عن باقي أجزاء المسجد.

-4-3**الوظيفة الثالثة:** لتضخيم صوت الإمام أثناء تأدية الصلاة كي يسمعه جميع المصلين، وعلى العموم أن المحراب يتوسط جدار القبلة، لكن هذه الفكرة لم تكن قاعدة ثابتة، ففي بعض المساجد نجد انحراف المحراب عن وسط الجدار، كما هو الحال في محراب المسجد النبوي بالمدينة، ومحراب المسجد الجامع بقرطبة-الأندلس-، ومحراب مسجد تنس بالمغرب الأوسط، وجعلت لهذه المحاريب تغطية ذات سقوف مقعرة لنقل الصدى إلى قاعة الصلاة، ومعظم هذه المساجد كانت تكتفي بمحراب واحد.

كما تعدد المحاريب في بعض المساجد الأخرى ، هذا ما نلاحظه في جدار القبلة لدير سانت كاترين الذي أنشأه أبو جعفر في العصر الفاطمي مابين سنة(433-429هـ/-1037 1041م) عندما كان واليا على الشام من قبل المنتصر بالله، إذ نجد في قبلة هذا الدير ثلاثة محاريب[61]وتعددت في المسجد النبوي الشريف ومسجد عمرو، ومسجد ابن طولون، والجامع الأموي بدمشق، والمسجد الأقصى، وقد أشار الدكتور أحمد فكري إلى الغرض من تعددها، فهي عناصر للزخرفة فقط لا شيء أخر[62]، هنا يبدو أن رأي الدكتور أحمد فكري صائب في هذا المجال، لكون المحاريب المتعددة في المصلى الواحد لا يستعمل منه إلا واحد والبقية لا يمكن استعمالها، لأن إماما واحدا يؤم المصلين الذين لا يحتاجون إلا إمام واحد، وعليه لا يمكن أن يقف إمام ثان .كما استعمل المحراب في الصحن في حالة الحر، فالإمام يقف في المحراب المتواجد في الصحن تفاديا للحرارة الناتجة عن اكتظاظ ألمصلين ، كما نجد أمثلة واضحة في وجود المحراب

في الصحن في مساجد العراق، وخير مثال على ذالك جامع البنوري الذي احتوى على محرابين: الأول في المصلى والثاني في الرواق.

و الملاحظ أن هذه الظاهرة قد انتشرت في بلاد المغرب، وخاصة بالجزائر متمثلة في المسجد الجامع بتلمسان، والمسجد الكبير بالجزائر العاصمة.

-5 علاقة المحراب بتحديد اتجاه القبلة:

قبل التعرض لتحديد اتجاه القبلة وعلاقتها بالمحراب، وكذالك الجهود التي بذلها المسلمون من أجل ذالك، يجدر بنا تعريف القبلة لغة واصطلاحا:

-5-1 القبـلة لغـة: هي الجهة « أي قابل قبلة» حيث يقال « ما لهذا الأمر قبلة».

5--2اصطلاحـا: هي الكعبة التي نستقبلها في صلاتنا [63]. لقوله تعالى:(**قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِـمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ**) [64].

لقد أجمع الأئمة على أن استقبال القبلة شرط صحة الصلاة على من تعذر عليه كالحرب أو عند تنقل المسافرين للضرورة، مع كونه مأمورا باستقبال القبلة حالة التوجه في تكبيرة الإحرام، فلو اجتهد في تحري القبلة ثم تبين له أنه غيرها فلا حرج عليه.

وعندما نزلت الآية الكريمة في قوله تعالى:((**سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّه هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ**))[65]. لم يكن المسجد الأقصى و لا القدس في يد المسلمين و كذا الأمر حينما كان رسول الله صلى الله عليه و سلم و المسلمون يتجهون إلى في صلاتهم إلى بيت المقدس، و في هذا الصدد نزلت الآية الكريمة لقوله تعالى:

((**إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي**))[66]. و نزل قوله تعالى: (**وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ**)) وتم هذا بعد هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة وقد أمره الله عز وجل مع أصحابه أن يصلى نحو صخرة بيت المقدس ليكون أقرب إلى تصديق اليهود له إذا صلى إلى قبلتهم،وعلى الأساس نزلت الآية السابقة الذكر،فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هؤلاء يهود يستقبلون بيتا من بيوت الله، فاستقبله عليه الصلاة والسلام مع أصحابه،فصلوا ببيت المقدس سبعة عشرا شهرا وقد

صلت الأنصار قبله ستين يوما،وكانت الكعبة أحب القبلتين إلى رسول الله عليه الصلاة والسلام.

وقد اختلفوا في السبب الذي كان الرسول(صلى الله عليه و سلم) من أجله يكره قبلة بيت المقدس ويهوى قبلة الكعبة،وكانت عمارة البيت بأمر من الله عز وجل لنبيه داود عليه السلام أن يعمره وقدره الله تعالى على يد سيدنا سليمان بن داود عليهما السلام،فهو الذي عمر بيت المقدس،ولم يبعث الله عز وجل نبيا إلا وجعل قبلته صخرة بيت المقدس[67].

ولما استقبل النبي عليه الصلاة والسلام بيت المقدس بلغه أن اليهود تقول:(والله ما درى محمد وأصحابه أين قبلتهم حتى هديناهم)[68].

يتبين من هذا النص من أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يريد الانصراف عن التوجه إلى بيت المقدس بسبب إدعاءات اليهود،ولذالك مافتئ يتطلع إلى الكعبة الشريفة ويسأل جبريل عليه السلام لو أن الله عز وجل صرفه عن قبلة اليهود إلى غيرها، فنزلت الآية الكريمة من سورة البقرة السابقة الذكر.

ولما حان وقت الصلاة أي صلاة الظهر، صلى الرسول عليه الصلاة والسلام ركعتين من الظهر في مسجده بالمسلمين، ثم أمر أن يتوجه إلى المسجد الحرام، فاستدار واستدارت معه جموع المسلمين [69] .

لقد أثار تحويل اتجاه القبلة من القدس إلى الكعبة انتباه مشركي قريش الذين يؤولون هذا الحديث تأويلات تخدم إدعاءاتهم وتظاهر الرسول عليه الصلاة والسلام بمظهر الحنين إلى موطنه[70].كما عبر القرآن الكريم عن ذالك تعبيرا صادقا حيث يقول سبحانه وتعـالى: ((**سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلاَّهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَؤُوفٌ رَحِيمٌ**))[71].

وقد عمد الرسول عليه الصلاة السلام في الصحراء التي كانت مصلى إلى اتخاذ الحربة أو العبرة كعلامة أو رمز لتحديد اتجاه القبلة،وقد جعل ذلك حتى في صلاة العيدين،وفي حديث روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال (إذا صلى أحدكم فليجعل تلقاء وجهه شيئا فإن لم يجد فلينصب عصا، فإن لم يكن فليخط خطا ثم لا يضره من مر بين يديه)[72].

ومنذ ذالك الوقت صار المسلمون في كل أنحاء العالم يتوجهون إلى القبلة التي اختارها الله لنبيه والمسلمين عامة، وهي مكة المكرمة، ويقفون في صفوف منظمة، وفي وقت واحد وإلى نقطة محددة وهي اتجاه القبـلة.

ثم تطور مفهوم القبلة عند المسلمين عبر فترات التاريخ الإسلامي حيث أصبح يعني من الناحية الجغرافية مركز مكة على الخريطة، ولذالك تجد للمواقع الجغرافية دورا كبيرا في اختلاف اتجاهات القبلة،فعلى سبيل المثال نجد بلاد مصر والشام وفلسطين يكون اتجاه القبلة فيها نحو الجنوب،أما بالنسبة لبلاد المغرب فهي الشرق، ولدالك وقعت أخطاء بالقيروان[73]، ومحراب مسجد تنس بالمغرب الأوسط ومحراب المسجد الجامع بقرطبة

إن موضوع تحديد اتجاه القبلة يجرنا إلى البحث في جهود علماء المسلمين لحل هذه الإشكالية اعتمادا على علم الفلك وحساب المثلثات والمساحة،ومما ساعد على الاهتمام بعلم الفلك ورود آيات قرآنية تشير إلى الظواهر الفلكية منها قوله تعالى ((**إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ**))[74]. وقوله تعالـى ((**لا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِـي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ**))[75].وقال العالم تانون (TANON) (يعتبر علم الفلك من أنبل العلوم يفيد في الأمور الدينية والشرعية)[76].ولم يكتف العرب بالدراسات الفلكية لحل هذه المشكلة بل اعتمدوا على حساب المثلثات وبرعوا فيه حتى أصبح علما قائما بذاته،فاستنبطوا الظل والظل التماس وهو ما يعرف اليوم بالمماس، وعن طريق حساب المساحة توصلوا إلى تحديد اتجاه القبلة،فهي تتمثل في (**أنلام**)[77]، وهي نظرية بطليموس ونظرية ميتا لا رؤوس حول رباعي الأضلاع الكروي، وكذالك حساب المثلثات،كما استعملوا صيغا عير مباشرة توافق الصيغة المستعملة اليوم،وهي:

تظل-1 جيب هـ تجيب (ط) جيب△ظل هـ

جيب ط △

ولحساب سمة القبلة في مختلف المدن الإسلامية ينبغي معرفة كل المعلومات الجغرافية؛ أي هيئات وخط الطول بها لقياس كل العناصر، وهذه العملية طويلة ودقيقة لا داعي للعمل بها لان في أيامنا هذه يمكن أن نجد القيم في القواميس الجغرافية ونجد عدد كبيرا، في كتاب مناخ الجزائر للكتاب سلتنزر([78](SELTZR ، وعند القيام بهذه المقاييس يجب الأخذ بعين الاعتبار أصل خطوط الطول والعرض وخط التنصيف الذي هو حاجز في البداية على ممر الزمن.

والشكل يتلخص في حساب سمت اتجاه معين بواسطة نقطتين يعرف مركزهما الجغرافي إنه مشكل حساب المثلثات الكروية، ولحل هذا المشكل يجب العمل بدقة كبيرة كما يجب الأخذ بعين الاعتبار الرموز المستعملة للنقاط في غرب خط التنصيف الأصلي، وهذه الصيغة استعملت لحساب سمت مكة وكل المدن الموجودة في الآتي:

هذه الحسابات تقام بواسطة جداول القيم الطبيعية للعلاقات لحساب المثلثات وآلة الحساب، ويمكن استبدال هذه الآلة بمسطرة الحسابات أو جهاز طوبوغرافي تفاديا للوقوع في أخطاء[79]، وعلى سبيل المثال يمكن أن نعطي سمت مدينة الجزائر ومكة في الجدول رقم 01:

	الجزائر	مكة
هيئتها	46، ° 36 شمالاً	28، ° 21 شمالاً
خط الطول	3، ° 3 شرقاً	15، ° 40 شرقاً

جدول رقم 01:يبين سمت مدينة الجزائر.

وبواسطة هذه الجداول يمكن أن نعطي رسما بيانيا نبرز فيه خط الطول والعرض، وخط التنصيف **(شكل رقم :1)**[80]

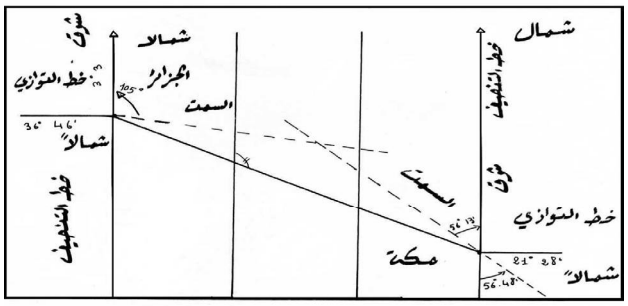

كما يمكن إعطاء حسابات سمت بعض المدن في الجدول رقم 02:[81]

المدينة	الدرجة	المسافة
المدينة- مكة	0°2ر،	قرطبة، خط الطول يساويها
القيروان- مكة	6°40ر،	بعيدة، خطوط الطول والعرض مختلفة
الجزائر- مكة	9°	بعيدة، خطوط الطول والعرض مختلفة
تلمسان- مكة	9°23ر،	أكثر بعدا، خطوط الطول والعرض مختلفة

قرطبة- مكة	11°ر23،	بعيدة ، خطوط الطول والعرض مختلفة بنسبة كبيرة

جدول رقم 02 : حسابات سمت بعض المدن.

والعمل الثاني إذا تقدمت هذه الشروط لا بد من التنقل إلى عين المكان لأخذ القياسات أو استعمال مخطط المبنى في حالة وجوده، فإذا كنا في عين المكان نقوم بقياس الاتجاه بواسطة بوصلة، وإن لم يوجد على مقربة منا تأثير مغناطيسي، أو كتلة معدنية أو خطوط كهربائية، وهنا يجب الآخذ بعين الاعتبار قيمة الميل وأيضا يمكننا القيام بعملية طبوغرافية، وإذا وجد مخطط المسجد يمكننا قياس الخط الباني للسمت في حالة ما إذا كان المخطط موجها نحو الشمال، ولكن مع الأسف يهمل المخططون في أغلب الأحيان هذه التفاصيل المهمة، وأحيانا أخرى يقتصرون بتوجيه مخططاتهم بسم قصير غير دقيق في تعيين الاتجاه، وفي جدول المقارنة الآتي نبرز ظاهرة اختلاف النسب لتحديد اتجاه القبلة والاتجاه المحقق حسب البعد والترتيب التاريخي، الذي يتمثل في تاريخ البناء،لأن الجدران السميكة الداخلية هي التي تعين في معظم الأحيان اتجاه القبلة، حيث نوضح هذه الظاهرة في جدول رقم 03 الخاص بالمقارنة.

اسم الأثر	السمت			
	تاريخ الأثر	المحقق	النظري	اختلاف
المسجد الجامع بالقيروان[1].	55-50هـ/674-670م	°146	°110،21،	°36+
المسجد الجامع بقرطبة[2].	170-169هـ/786-785م	°154	°99،52	°45+
الجامع بالجزائر،أخذت المقاييس بالبوصلة	491هـ/1097م	°169	°104،59،	°58+
المسجد الجامع بتلمسان[3]	539هـ/1136م	°151	°99،6،	°52+
مسجد سيدي بلحسن،أخذت المقايس بالبوصلة	696هـ/1296م	°143	°99،6،	°44+
مسجد سيدي أبي مدين المقاييس بالبوصلة	740هـ/1339م	°151	°99،6،	°52+
مسجد سيدي الحلوى	753هـ/ 1353 م	°135	°99،6،	°36+
مسجد سيدي إبراهيم		°143	°99،6،	°44+

جدول رقم 03: يبين اختلاف النسب لتحديد اتجاه القبلة

هذه المقاييس يمكن أن نوضحها بواسطة رسم بياني يحدد الاتجاه ونسبة درجات الاختلاف، فمثلا في مدينة الجزائر وخاصة في ساحة الشهداء، نجد اختلافا واضحا بين الجامع الجديد وجامع كتشاوة في اتجاهاتهما بنسبة 50 درجة على عكس ما يمكن اعتقاده أن الكاتدرال التي

أنشئت في نفس موقع المسجد عام 1794م ذات توجيه صحيح، سنعطي رسم بياني يوضح الاختلافات بين اتجاهات القبلة واتجاهات بعض المساجد لمدينة تلمسان والجزائر، وهذه الاختلافات تقدر بحوالي 33° درجة لتلمسان ،أي أن المسجد الجامع خطأ(+[82](25° ،

أما إذا تطرقنا إلى أهل مصر والإسكندرية وبلاد الصعيد وأسفل الأرض وبرقة وإفريقية وطرابلس والمغرب وصقلية والأندلس وسواحل المغرب إلى السوس الأقصى والبحر المحيط وما على سمت هذه البلاد ، يستقبلون في صلاتهم من الكعبة ما بين الركن الغربي إلى الميزاب[83]،فمن أرد أن يستقبل الكعبة في هذه البلاد فليجعل الشمس إذا غربت خلف كتفه الأيسر وإذا طلعت على صدغه الأيسر، ويكون الجدي حذو أذنه اليسرى،ومشرق الشمس تلقاء وجهه أو ريح الشمال خلف أذنه اليسرى أو ريح الظهر-الدبر- خلف كتفه الأيمن، أو ريح الجنوب التي تهب من ناحية الصعيد على عينه اليمنى،فإنه حينئذ يستقبل من الكعبة سمت محاريب الصحابة الذي أمرنا الله عز وجل بإتباع سبيلهم ،ونهانا عن مخالفتهم[84].

إن المسلمين قد جعلوا لكل بلد مسلم كيفية تحديد اتجاه القبلة حسب موقعه من مكة المكرمة.

-6 المحراب و عناصره المعمارية في المشرق و المغرب

-6-1 المحراب في العصر الأموي.

انبثق الدين الإسلامي في الجزيرة العربية ببعثة نبينا محمد عليه الصلاة والسلام وأخذ ينتشر فيها، و استطاع الرسول صلى الله عليه وسلم أن يكون نواة لدولة إسلامية كبيرة بالمدينة المنورة ،وبعد أن استقر العرب في مختلف البلاد الإسلامية التي فتحوها وجعلوها تعتنق الدين الإسلامي،نشطوا في الفتح الثاني وهو الفتح العلمي والصناعي.

ولقد اندمج العرب مع أهل البلاد المفتوحة وشاركوهم في الصناعة والزراعة العمارة وغيرها، فالحضارة الإسلامية لم تظهر فجأة بل أن العرب اقتبسوا واشتقوا من الحضارات السابقة فأضافوا إليها الكثير واخترعوا ما لم تعرفه الحضارات.

فالفن المعماري الإسلامي وجد أسسه في شعوب العربية و البلاد المفتوحة. وهناك عوامل تأثرت بها العمارة الإسلامية، منها العوامل الروحية والمعنوية والمادية.وأهم العوامل الروحية هو العامل الديني و ألمعتقدات ، ذلك أن التقاليد والطقوس الدينية تتطلب أشكالا وأنواعا خاصة من العمارة تلائم أهدافها وتحقق أغراضها، بل أن الدين قد يستخدم العمارة والفنون

للتأثير على الناس، أو يستخدمه هؤلاء للتعبير على شعورهم نحو دينهم ، فلهذا نجد منذ أول الأمر أن الإسلام ارتبط أشد الارتباط بالدين، إذا أن الفن ولد لخدمة الدين وشق الدين الإسلامي مجرى جديدا في تاريخ الحضارة البشرية، وكان لابد لأجهزة الحضارة أن تقوم بسد حاجة ذلك الدين من نواحي مختلفة.

هذا الفن مع بداية الدعوة الإسلامية وأخذ ينمو بفضل رسوخ تعاليم الإسلام وتقاليده ووضوح أهدافه. ومهما يكن من أمر فإن منطق الحضارات البشرية منذ فجر الإنسان على الأرض، لا يترك مجالا للشك في أن العرب في تلك الحقبة كانت عندهم إحساسات فنية، لابد أن تكون قد تأثرت بطريقة ما في تطور الفن العربي في البلاد الإسلامية ،منذ أن بدأ العرب فتوحاتهم ونجحوا في تكوين إمبراطورية عظيمة من تلك الأقطار التي كانت معروفة لديهم في تلك الأوقات. فمن الملاحظ أن الفنون العربية، أخذت تتكون ولها طابع خاص واضح منذ اللحظات الأولى في العصر الإسلامي في بلاد المغرب والأقطار التي دخلوها ونشروا فها الإسلام وسارت في طريق التطور الذي اختطته لنفسها مثل غيرها من الطرز.

والعمارة الإسلامية وضعت أسسها على قواعد إسلامية عربية خالصة، ولم تتأثر بالفنون الأخرى التي كانت سائدة في تلك المنطقة،إلا بما وافق طبيعة التقاليد العربية الإسلامية الجديدة فلم يأخذ الفن الإسلامي إلا العناصر والوحدات المعمارية الزخرفية التي تصلح لأغراضه، لا كنه مع ذلك يأخذها كما هي إلا في أحوال قليلة.

فإن الفنانين العرب والمسلمين كانوا يعالجونها إما بطريقة خاصة جعلت لها ملامح عربية إسلامية.أو يدخلونها مع عناصر ووحدات أخرى ضمن تكوينات صيغت ضمن قالب وذوق عربي إسلامي. ثم أخذت جميع تلك العناصر والوحدات تتطور مع الوقت، وتكتسب الطابع الإسلامي الذي يبعدها عن المصادر الأصلية التي جاءت منها، حتى ضاعت الصلة بينها وخاصة بعد اندمجت مع العناصر والوحدات التي ابتكرها الفنانون العرب والمسلمون مع مرور الوقت.

لقد تعددت الأساليب الفنية بالنسبة للفن الإسلامي بانقسام وحدة المسلمين، فحدث تنافس شديد كان عاملا على انتشار الفن الإسلامي ،ونشأت العمارة الإسلامية أو ما نشأت في المدينة المنورة عندما اختطت أول بيت للصلاة وأول مسجد جامع للمسلمين. وظهر في تاريخ العمارة من هذا المسجد البسيط نظام تخطيطي لبناء جديد، له اليوم شأن عظيم في صرح الآثار، وبنيت أغلب المساجد فيما بعد على هذا النموذج مع بعض الإضافات التي صاحبت تطور المعمار الإسلامي من بناء وزخرفة وكسوة الجدران بالرخام والفسيفساء والكتابات، فمسجد

الرسول صلى الله عليه وسلم استمد ميزاته من خصائص البيئة المحيطة به وأحوال سكانها.

6-1-1- مسجد المدينة المنورة:

بدأت بشائر هذا الحديث المعماري عندما خطط الرسول صلى الله عليه وسلم في السنة الأولى من الهجرة النبوية الشريفة، بعد أن نجح الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه في الوصول إلى يثرب التي أطلق عليها اسم المدينة المنورة لينتها من اضطهاد قريش،فنصره أهلها فأتخذ منها قاعدة لنشر دعوته على أوسع نطاق، ولتجميع قوى المسلمين وإعدادهم للوقوف أمام الكفار.

6-1-1-1- تخطيط مسجد المدينة المنورة.

ظهر هذا الحديث المعماري عندما خطط الرسول عليه الصلاة والسلام دارا لنفسه ولآل بيته[85]، بعدما اشترى قطعة أرض من غلامين يتيمين هما سهل وسهيل، فسويت الأرض ووضع تصميم المسجد، وجهزت مواد البناء واستعملت لحجر لبناء أساسات المسجد وحجرات زوجات الرسول عليه الصلاة والسلام، وكان أسلوب بناء المسجد وظلته بسيطا لا تأنق فيه، استخدمت فيه جذوع النخيل للأعمدة والدعامات وفروعه وسعفه للتسقيف، واستعمل اللبن لبناء الجدران[86]. ثم دخل التخطيط في طور جديد بعد أن تلقى الرسول صلى الله عليه وسلم من السنة الثانية للهجرة الأمر من ربه باتخاذ الكعبة قبلة يتجه إليها مع المسلمين في صلاتهم. فأضاف ظلة ثانية جهة الجنوب وجعل في وسط جدارها الجنوبي علامة تعيين القبلة. واستعملت الظلة السابقة لإيواء الصحابة رضوان الله عليهم (**مخطط رقم : 01**).

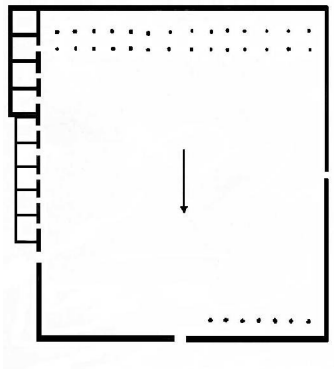

مخطط رقم : 01.مسقط أفقي يبين مسجد المدينة أيام الرسول صلى الله عليه و سلم .مقياس الرسم 10 / 1

هذا المسجد عبارة عن شبه مربع مساحته 70×70ذراع[87] ، لكن هناك شبه إجماع على أن

مساحة المسجد 100×100ذراع ،لم يزود بمحراب في عد الرسول صلى الله عليه وسلم،ثم زاد عمر بن الخطاب في مساحته سنة 17هـ/670م[88]،كما انتهز الفرصة وزاد في عمق ظلة القبلة، وبهذه الزيادات لم يبق من الجدران الأصلية التي شيدت في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم،سوى الجدار الشرقي الذي تلتصق به حجرات آل الرسول[89] ومن المحتمل أن تكون تلك الضلات الثلاثة قد جددت أو أضيفت كلها أو بعضها في العمارة التي بدأها عثمان بن عفان لتوسيع المسجد للمرة الثانية في عام 24هـ/644م[90]. (**مخطط رقم : 02**)، وبذلك تكامل الشكل النهائي لتخطيط أول مسجد بالمدينة.

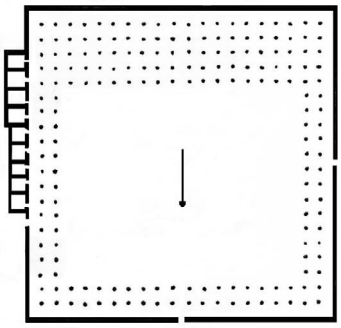

مخطط رقم : 02.مسقط أفقي لمسجد المدينة أيام عثمان بن عفان. مقياس الرسم : 10 /1 .

ومنذ ذالك الوقت صار نموذجا يقتدي به المسلمون في تخطيط مساجدهم في العالم الإسلامي من المشرق إلى المغرب. ومنذ هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم حتى العصور الأخيرة، لا تزال تبنى عليه المساجد مع بعض التغير في النسب وأحجام الظلات وطرق التسقيف وأساليب البناء حسب التطور الزمني ووجود مواد الخام للبناء، مع الاحتفاظ بالفكرة الرئيسية في التخطيط ، بحيث كان يتكون مسقط المسجد دائما من صحن أوسط مكشوف وظلات تحيط به من الجوانب الأربعة أكبرها ظلة القبلة و الظلتين ألجانبيتين ويكتفي بظلة القبلة فقط.

6-1-1-2- محراب مسجد المدينة المنورة :

الجدير بالذكر أن مسجد الرسول عليه الصلاة والسلام لم يزود بمحراب مجوف بل اتخذت الحربة أو العنزة والوتد كعلامة أو رمز لتحديد اتجاه القبلة كما سبق وأن أشرنا،في حديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال((إذا صلى أحدكم فليجعل تلقاء وجهه شيئا فإذا لم يجد فلينصب عصا، فإن لم يكن فليخط خطا فلا يضره من مر بين يديه))[91]

ومنذ ذلك الوقت صار المسلمون يتجهون إلى القبلة التي اختارها الله لنبيه والمسلمين عامة

وهي مكة المكرمة، وقد تطورت هذه العلامة لتصبح عبارة عن محراب مجوف في جدار القبلة، وقد تنوعت أشكاله حسب التطور الزمني، ويذكر السمهودي في كتابه أن هناك وزدة رخامية في جدار القبلة مثبت بها وتد كان الرسول صلى الله عليه وسلم يتكئ عليه حين إلقائه الخطبة[92]. وذكر أبو هريرة رضي الله عنه أن هناك قطعة حجارة تبين اتجاه القبلة مثبتة في الجدار الشمالي، وعندما حولت القبلة إلى مكة المكرمة حولت هذه الحجارة إلى الجدر الجنوبي[93].

ليس من السهل معرفة متى تم إدخال أول محراب مجوف إلى مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم، فالبعض يرى أن ذلك حدث في عهد أبي بكر الصديق سنة 13-11هـ/634-632م، وآخرون ينسبونه إلى عثمان بن عفان سنة24هـ/644م[94].

بينما يرى البعض الآخر أنه يعود أنه يعود إلى زمن معاوية بن أبي سفيان هو أول من أدخل المحراب المجوف إلى مسجد الرسول[95]صلى الله عليه وسلم، غير أن هناك شبه إجماع من الرواة والمؤرخين الأوائل في الإسلام أن الوليد بن عبد الملك كان أول من أدخل المحراب المجوف عندما أمره واليه على المدينة-عمر بن عبد العزيز- بإعادة تجديد بناء مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم بالمدينة سنة86هـ/705م.

ولما وصل إلى جدار القبلة دعا مشيخة من أهل البلاد من قريش والأنصار من العرب والموالي.فقال لهم:أحضروا بنيان قبلتكم لا تقولوا غيرها عمر، فجعل لا ينزع حجرا إلا ووضع مكانه آخر[96].

نستخلص من كل ما سبق أن عرب الحجاز قد بدؤوا فتوحاتهم الأولى في عصر الخلفاء الراشدين، وقد تبلورت في أذهانهم أهداف وأركان الدين الإسلامي،الذي آمنوا به واتضحت أمامهم المطالب والاحتياجات الروحية والمادية اللازمة له. ومن ثم أخذوا يبتكرون ويقتبسون كل ما يمكنهم من الوسائل التي تساعدهم على تلبية كل ذلك،ومنذ ظهور النبي عليه الصلاة والسلام وقيامه ببث الدعوة الإسلامية، وعلى انتشار هذا الدين في منطقة كبيرة من العالم، فإن ما أحدثه محمد بما أتى به من عقيدة دينية وتعاليم يدعوا بها الناس إلى عبادة الله وحده لا شريك له،وإلى خلق كريم قويم راشدا إياهم إلى ما فيه خير وصلاح البشرية، كل ذلك بعد نقطة تحول هامة في مجرى حضارات العالم.

واتسع مجال الاحتكاك بين عرب الحجاز والحضارات الأخرى منذ أن جد المسلمون في فتوحاتهم في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وخليفته عمر بن الخطاب وتولى عثمان بن عفان الخلافة بعده وواصل العرب والمسلمون الفتح في مناطق هامة في شمال شرقي الجزيرة

العربية وفي الشمال الشمالي الغربي منها، فاستولوا على عدة مدن.و ليس من شك في أنهم أصبحوا متصلين بالطرز الرئيسية للعمارة والفنون التي كانت مزدهرة في تلك البلاد في ذلك الوقت.

بادر هؤلاء العرب المسلمون بمجرد إتمام الفتح بتخطيط المدن والمساجد الجامعة. ومما يجدر ذكره أن هذا الفن الجديد جاء مع بداية الدعوة الإسلامية وأخذ مكانه بين الفنون المعروفة،وكل ذلك قد ساعد على تبلور مطالبه من ناحية العمارة، ومن ثم فقد وضعت أسسها على قواعد إسلامية عربية خالصة ولم تتأثر بالعمارة والفنون الأخرى التي كانت سائدة إلا بما وافق طبيعة التقاليد العربية الإسلامية الجديدة، فلم يأخذ الفن الإسلامي إلا العناصر والوحدات المعمارية و الزخرفية التي تصلح لخدمة أغراض الدين، ومن العوامل المؤثرة على تطور الفنون المعمارية والروحية والمعنوية والمادية، والعامل الجغرافي والجيولوجي، التأثر الديني على المسجد النبوي بالمدينة وتخطيطه يتمثل في الصحن و الظلات التي ظهرت في المساجد المبكرة.

كانت البساطة في أداء فرائض الإسلام عاملا أساسيا في وضع تخطيط سهل لا تعقيد فيه ولا تكليف في توزيع وحداته أو في أسلوب بنائه، وكان ذلك المسجد النبوي أول نواه لبناء المساجد في جميع الأمصار وفي كافة العصور، ولم يتطلب الدين الحنيف أكثر من جدران تقام بأي مواد للبناء لتحديد محيط المسجد وتحفظ حرمته من سقف وظلة أو أكثر يحتمي بها المسلمون أثناء صلاتهم. و المسجد النبوي بالمدينة وضعت خطوطه الأول في السنة الأولى من السنة الهجرية وحدثت الخطوة الثانية في السنة التالية بعد الهجرة سنة 24 هـ/644م و ذلك عندما تمت الزيادة التي أضافها عثمان بن عفان لتوسيع المسجد، وأكثر الظن أنه أصبح متكاملا والنموذج الرئيسي الذي شيدت على غراره المساجد الجامعة في بلاد المسلمين وحسب رواية البلاذري الذي يقول ((أنه في ذلك الوقت كتب الخليفة الوليد إلى عمر بن عبد العزيز عامله على المدينة المنورة يأمره بهدم المسجد وبنائه،وبعث إليه بمال وفسيفساء ورخام ثمين وصناعا من الروم والقبط من أهل الشام ومصر وولي القيام بأمره في سنة87هـ/705م))[97].

ويذكر أحمد فكري عن السمهودي((أن عمر بن عبد العزيز لما وصل إلى جدار القبلة دعا مشيخة من أهل البلاد من قريش والأنصار من العرب والموالى ،فقال لهم:أحضروا بنيات قبلتكم لا تقولوا غيرها عمر فجعل لا ينزع حجرا إلا ووضع مكانه أخر))[98].

واستنتاجا لما سبق أن المحراب المجوف كان معروفا بمسجد الرسول عليه الصلاة والسلام قبل

تحديد المسجد على يد عمر بن عبد العزيز 87هـ/705م.كما أعلم الوليد ملك الروم بأنه قد أصدر أمرا بالبحث عن الفسيفساء في الأماكن المندثرة وإرسالها إلى عمر بن عبد العزيز[99]بالمدينة المنورة،ويشير المقدسي قائـلا:((كتب الوليد إلى ملك الروم أنا أريد أن يعمر مسجد نبينا الأعظم فأعني فيه بضائع وفسيفساء))[100] ، وبناء على ذلك فإنه بعث إليه بأحمال وبضعة وعشرين صانعا،وهذا يوضح لنا أن مسجد الرسول قد كسيت جدرانه بالفسيفساء والذهب، وهذا هو الحال في مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم ،الذي أنشأت على غراره مساجد الإسلام واشتقت نظامها ومظهرها من نظامه ،كما يتضح من مسجد القيروان المعاصر له، فبيت الصلاة في كليهما يرتسم في الفضاء بالشكل الذي ترتسم به الصفوف ممتدة متوازية ومتساوية،ولم يخضع بناء هذا المسجد في تخطيطه إلا لما تطلبه حاجة المصلين تبعا لشريعة دينهم وسنة رسولهم .وبني بالحجارة النظام الذي أقام عليه الرسول مسجده بجذوع النخيل، هذا الذي أقيم على هذا النمط سوف نتطرق إلى محرابه بالتفصيل، وهو النموذج الثاني بعد محراب مسجد الرسول.

6-1-2- محراب المسجد الجامع بالقيروان:

6-1-2-1- المحراب من الداخل

6-1-2-1-1- التخطيط

محراب المسجد الجامع بالقيروان عبارة عن كوة في جدار القبلة، يرجع تاريخها إلى أيام الفاتح عقبة بن نافع الفهري سنة50هـ/670 م، ومنذ ذلك الوقت أصبحت قبلة الجامع مكان إجلال وتقديس، دون إحداث أي تغيير أو تعديل في تجاهه عبر العصور.

وأثناء الزيادة المتتالية التي أجريت على الجامع عامة وبيت الصلاة خاصة لم يتغير وضع القبلة ولم يهدم جدار المحراب،على الرغم منة انحراف القبلة عن الوضع الصحيح[101] وبقي على حاله إلى يومنا هذا، لأنه وضع على يد مؤسسه الأول سنة84هـ/703م، غير أن حسان بن النعمان الغساني هدم المسجد من أجل الزيادة ماعدا جدار القبلة، ونصب في محرابه ساريتين موشيتين بصفرة نقلتا من أنقاض كنيسة[102]، وأحتفظ بالمحراب كما هو، وتمت الزيادة في الجهة الشمالية المقابلة للمحراب تجنبا لتغيير جدار القبلة.

ولما تولى زيادة الله بن إبراهيم إمارة إفريقية، بدأ بهدم أجزاء كثيرة من المسجد سنة 221هـ/736م دون أن يغير من نظامه أو يبدل من حدوده (**مخطط رقم 3**)، ولما أراد هدم المحراب حتى لا يكون أثر لغيره فأشار عليه بعض البناة والمهندسين بإدخال المحراب بين

حائطين وبذالك لا يظهر أثره لغيره، فأستحسن الرأي وعمل به، وأشار عليهم بالتنفيذ ولم يطرأ عليه تغيير أو تهديم.

إن ما قام به زيادة الله من الإصلاحات والزيادات في المسجد ذا أهمية كبيرة ويدل عليها ما قيل من أن النفقات بلغت ثمانين ألف مثقال[103]،التي تتمثل في زيادته في سعة رواق المحراب وتجديده بالرخام الأبيض المنقوش[104] (صورة رقم 1).

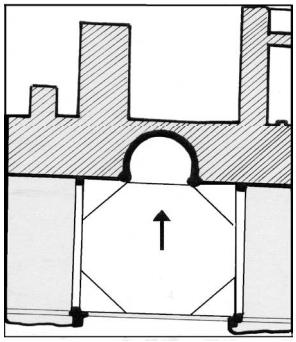

مخطط رقم: 03.مسقط افقي لمحراب المسجد الجامع بالقيروان.مقياس الرسم : 100 /1 .عن مارسال فيليب

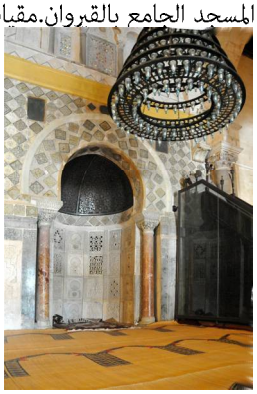

صورة رقم: 1 واجهة محراب المسجد الجامع بالقيروان.

ولا يزال محراب الصحابي عقبة بن نافع قائما إلى يومنا هذا يرى من خلال الكسوة الرخامية، وقبلة هذا المسجد الجامع لم تتغير منذ أن وضع الصحابي الجليل لواءه فيها[105].

هذا المركز هو الجزء الأساسي في شكل المسجد، فهو الذي يحدد القبلة التي يجب أن تكون عمودية على خط القبلة إلى مكة كما سبقت الإشارة إلى ذلك، وكان يرجى أن يكون هذا هو الواقع في محراب المسجد الجامع بالقيروان، إلا أن أصحاب عقبة أخطئوا في تحديد الاتجاه ،لأنهم لم يكونوا على علم بتحديد اتجاه القبلة[106].

ويرى بعض العلماء أن وجود هذه الكوة بجدار القبلة أمر طبيعي،لأن لوحات الرخام تتطلب إيجاد فراغ خلفها حتى تظهر نقوشها بارزة[107]، ونعترض على هذا الرأي لأن هذه الجوفة لو شيدت في الوقت الذي أمر فيه زيادة الله ببناء المحراب، لكان قد أولاه عناية خاصة وحرص على أن تكون مواده ثمينة وصناعته بديعة، كما نلاحظ اختلافا كبيرا في جوف المحراب القديم على أنه غليظ مبني من الطوب والآجر الأحمر،أي أن هناك اختلافا بين مواد البناء وهذا وحده يكفي للدلالة على أنها تنتمي إلى عصر زيادة الله، وإن كانت هذه ألحنية شيدت خلف لوحات الرخام لتكون ستارا يزدان به بيان نقوشا وضوحا وجمالا، بل كان هذا الجدار قائما، و حنية المحراب مشيدة به فأضيفت إليها لوحات الرخام في عصر زيادة الله، هذه فكرة اقتراحها البناة والمهندسون لإرضاء رغبة الأمير للاحتفاظ بهذا الأثر القيم[108].

فمحراب عقبة كان مجوفا وما هذه ألحنية إلا قبلة يتجه نحوها المصلون، وقد تطور شكل المحراب فأصبح مقوسا واتخذ جوفه شكلا مستديرا فخيل إلى البعض أنه صورة مصغرة لمحراب الكنائس، والحقيقة أن بناة المسجد الجامع بالقيروان لم يكونوا يستطيعون أن يضعوا محرابهم على شكل أخر، ذالك لأن عقود المسجد كلها أنصاف دوائر ولا ينسجم شكل المحراب في نظام بيت الصلاة بغير هذا المظهر.

وبهذا يكون الأصل في إدخال المحراب إلى المسجد عملية دينية، والعلة في ذلك تعود لتناسق البناء الذي كان سببا في اتخاذ شكله المقوس،ويعد محراب المسجد الجامع بالقيروان،أقدم محراب مجوف أدخل على المسجد بالمغرب والأندلس، وبالتالي أصبح مثالا فنيا يحتذي به في جميع المساجد الجامعة فيما بعد.

-6-1-2-1-2 القبــة:

تغطى حنية محراب المسجد الجامع بالقيروان قبة كروية الشكل ثلاثية الأضلاع من الرخام المذهب،تحمل زخارف نباتية محزمة، بحيث تظهر القبة الأولى التي تغطى محراب الصحابي عقبة، المكونة من الطوب الأحمر والأجر، في حين ترتكز الثانية على شريـط نصف دائري يحمل مربعـات خزفيـة تزين كـوة المحراب.

-6-1-2-2 المحراب من الخارج:

-6-1-2-2-1 العقـد:

عقد محراب المسجد الجامع بالقيروان عبارة عن تجويف داخل جدار القبلة، والقوس على

شكل حذوة الفرس، عرضه1،98موعمقه1،58م مكسى بمربعات من الرخام تتكون من أربع مجموعات، في كل منها سبع حشوات تفصلها ست أشرطة ، فيكون عدد الحشوات

ثمانية وعشرين، أبعاد كل منها 44×(61-68) ترتكز على قاعدة دائرية الشكل إذا نجد الصفائح الرخامية كونت بها سبعة أضلاع (**شكل رقم**: 02)، كلها مزينة بخروم على شكل زخارف.

ينسب المحراب الحالي إلى زيادة الله بما احتواه من بلاطات ذات الرخام الأبيض ويوجد خلفه-المحراب- حائط من الطوب، يرجع تاريخه إلى عقبة بن نافع ، ويبدو في شكل تجويف داخل جدار القبلة ، شيد بعده تجويف من الرخام الأبيض يقترب من اللوحات ويلمسها في مواضع عديدة، فلا يخترق النظر خرومها.

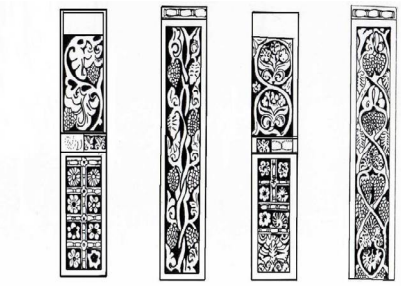

شكل رقم : 02 شرطة زخرفيه تفصل بين البلاطات.

-2-2-2-1-6 العمودان:

يكتنف المحراب من جانبيه عمودان أحمران تاجهما من الطراز البيزنطي هذان التاجان متلاصقان شكلا وحجما،وواجهاتهما المنحوتة صورة متطابقة أيضا[109]، بل أن درجات التاج الثلاثة؛ أي أن رأسه وقرمته ووسطه تكسوهم أشكال زخرفية مكونة من عنصر واحد، نجده مكررا مرتين في وسط التاج، وسبع مرات على رأسه،وستة على كل واجهة من واجهة قرمته (**شكل رقم : 03).**

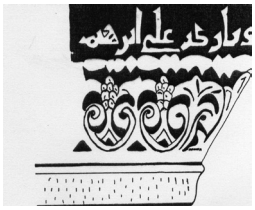

شكل رقم:03نموذج زخرفي لتاج عمود محراب المسجد الجامع بالقيروان.عن جورج مارسي.

ومن الملاحظ أن المحراب غني بالزخارف التي شكلت تشكيلا محكما من طرف الفنان. فأضفت عليه منظر قداسـة و جمـالا خارقا، ونظرا لأهميته ارتأينا أن نقسم هذه العناصر حسب أهميتها إلى ما يلي:

6-1-2-3- توزيع العناصر الزخرفة:

6-1-2-3-1- توزيع العناصر الكتابية:

يفصل بين اللوحات الرخامية التي تزين كوة المحراب، شريط كتابي من الخط الكوفي المتقن،ومحتوى هذا الشريط آيات قرآنية من سورة الإخلاص وهي السورة الوحيدة التي تزين المحراب هذا نصها: بسم الله الرحمن الرحيم

((**قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ،اللَّهُ الصَّمَدُ، لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ**))[110] صدق الله العظيم.هذه السورة تكررت على تيجان أعمدة المحراب.

6-1-2-3--2 توزيع العناصر النباتية:

تقتصر هذه الزخرفة على ورقة العنب وتتفرع منها أوراق أخرى،هذه الورقة هي التي تكون العنصر الأساسي لأكثر المركبات الزخرفية، وهناك قانون تخضع له جميع هذه المركبات أينما كان موضعها وهو العنصر الذي تتفرع منه،وينقسم إلى قسمين متساويان وهما صورتان متطابقتان،كما نجد في ورقة العنب في زخارف عديدة، تارة يانعة وطورا منكمشة ضيقة مستقيمة أحيانا، وملفوفة في مواضع أخرى، ومقصوصة في مواضع أو جامدة، أو يابسة الوريقات في مواضع أخرى، وكثيرا ما تستبدل ورقة العنب بورقة نباتية غيرها ذات ثلاثة نصوص، ونرى الزخرفة مكونة في بعض المواضع من زهور أو سعف النخيل، لكل منها ثلاثة أو خمسة فصوص، وتتميز في بعض الأحيان بعنقود العنب أو الرمان أو كيزة من الصنوبر

نستخلص من كل هذه الأشكال الزخرفية،تلك الفكرة الأصلية التي حركت موهبة الفنان زيادة الله في المسجد الجامع بالقيروان في القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي والتي تحكم القواعد الهندسية في رسم الخطوط والنباتات.

يسمى هذا بالطراز من النحت بالطراز المخرم الذي يتمثل في جوف المحراب فيلتصق به ستار رقيق من الرخام،ينفذ الضوء من خرومه الصافية، ويجري بين فتحاته الرشيقة ويتلألأ بياض الرخام الناصع، ويبرق على ظل الفراغ القائم.

إن زخرفة المحراب وزخرفة تيجانه و قبيبته تتصل بفن واحد، وترتبط بصناعة واحدة

وأسلوبه واحد لا يختلف عن بعضه بالرغم من أنه يتفرع إلى طرازين،وأن اليد التي اختطت الكتابة الكوفية على تيجان المحراب وستاره الرخامي،وهي اليد التي نحتت نقوش وطاقات القبة.

6-1-2-3-- توزيع العناصر الهندسية:

الزخارف الهندسية التي توشي المحراب تتمثل في الزخارف المحفورة و الخطوط، بالإضافة إلى الدوائر والمثلثات والمربعات .

تعتبر الزخرفة الهندسية بسيطة جدا وقوامها المربع والدوائر، والنوافذ المخرمة ذات الزخارف الرشيقة الهندسية المخرمة، وتكون المربعات دائما برأس إلى الأسفل في شكل معينات وتحتوي على مربعات،ودوائر متصلة بخطوط أفقية تكون في غالب الأحيان وريدات بشكل بسيط.

يزين واجهة المحراب الخارجية عدد من البلاطات ذات البريق المعدني داخل إطار مستطيل،كل بلاطة ذات مقياس 1،21 سنتمتر مربع، وبسمك1 سنتم، تحتوي على 139 بلاطة كاملة وحوالي 16 جزءا من بلاطات غير كاملة، كما أن البلاطات المكونة للإطار المستطيل،صناعتها من الخزف على شكل معنيات، مكونة في مجموعها شكلا شطرنجيا مائلا في الجدار،والبلاطات من نوعين مختلفين سواء في اللون أو الزخرفة:الأولى ذات لون واحد والثانية متعددة الألوان.

من خلال ما سبق اتضح لنا نموذجا أولى للمحاريب المضلعة في العالم الإسلامي، الذي يمكن تتبع مدى تأثيره في تطور المحاريب المغربية، ولهذا الغرض ارتأينا تقديم نموذجين يعود الأول إلى العصر العباسي- محراب مسجد المنصور- والثاني لتأثير هذه الفترة على محاريب المغرب من خلال المسجد الجامع بقرطبة.

6--2 المحراب في العصر العباسي.

أمتاز العصر العباسي بازدهار الحضارة الإسلامية وخاصة من الناحية المعمارية وذالك بين سنة132-656هـ/749-1258م، وأنجزت مدن عديدة منها: بغداد سمراء، وبنيت مساجدهم على غرار مسجد أبو جعفر المصور، ويعتبر المسجد الأول الذي شيد في أرض بغداد من العصر العباسي الأول، وهو أكبر المساجد الجامعة وقد فاق جامعي البصرة والكوفة، حيث وصفه الخطيب البغدادي بقوله: (جعل أبو جعفر المنصور المسجد الجامع للمدينة ملاصقا لقصره المعروف بقصر الذهب، وهو الصحن العتيق، وبناه من الطين واللبن، مساحته مائتين، في

مائتين به أساطين من الخشب كل أسطوانة تتكون من قطعتين معقدتين بالقصب[111] و ضابات من الحديد[112]، وعند منارته خمسة أساطين تتألف كل منها من قطع ملفقة[113] مدورة من الخشب.....)[114].

أسس هذا الأثر الجليل على يد الخليفة أبي جعفر المنصور سنة145هـ/768مذا تخطيط مربع الشكل متساوي الأضلاع طول كل ضلع مائتا ذراع أي ما يعادل100م. والقبة فيه تنحرف نحو باب البصرة.

ظل قائما على حاله إلى عهد هارون بن الرشيد الذي أعاده بالآجر و الجص، وكتب عليه اسمه من ناحية باب خرسان سنة -192- 193هـ/807-808م، أضاف إليه الدار المعروفة بدار القطان التي كانت ديوان للمنصور[115].

وبعد انتقال الخلافة العباسية من سمراء إلى بغداد زاد عدد السكان وضاق المسجد بالمصلين، فزاد المعتضد بالله الصحن الأول وهو قصر المنصور وأطلق عليه اسم الصحن العتيق، وأصبحت مساحته أربع أضعاف مساحة المسجد التي كانت تساوي عشرة ألاف متر مربع، ووصفه الرحالة ابن جبير بقوله:(**إنه جامع كبير عتيق كبير البنيان**[116]).

ويشير هرز فلد إلى تخطيط المسجد وتعيين موضعه بالنسبة للقصر، فهو في الجدار الجنوبي الغربي المقابل لباب الكوفة، والإضافات تتمثل في17طاقا في الجدار الذي يفصل المسجدين،13 منها إلى الصحن، وأربعة إلى الأروقة الجانبية، هذا مم يدل على أن المسجد القديم كان يحتوي على 17 رواقا من اليسار إلى اليمين والأروقة الجانبية كانت في كل جانب[117].

يعد هذا المسجد النموذج الأول من العصر العباسي الأول في المشرق، والذي يهمنا من هذا العصر المزدهر بالعمارة المدنية والدينية على ما يزيد من خمسة قرون، محاريب ذلك العصر، ووقع اختياري على نموذجين من المحاريب الإسلامية التي تعود إلى القرن الثاني الهجري وهما محراب مسجد المنصور ومحراب المسجد الجامع بقرطبة لقرب الفترة الزمنية واختلاف التخطيط.

-1-2-6 محراب مسجد أبي جعفر المنصور(بغداد)

-1-1-2-6 المحراب من الداخل:

محراب أبو جعفر المنصور قطعة أثرية ثمينة كانت تتصدر جدار قبلة مسجده ، تعود إلى العصر العباسي الأول ، عندما انشأ مدينته في بغداد سنة 1309هـ /1891م [118] وعندما

دمر الجامع [119]. اهتمت وزارة الأوقاف بناءه [120] و نقل المحراب. وقد ذكر أن المعتضد نقل المحراب إلى جامعه[121] فكان من السهل نقل هذا المحراب لأنه يتألف من قطعة واحدة ارتفاعها الكلى 2،06م وعرضها 1،25م أما عمقه33سنتمتر،بينما ارتفاع قاعدته 68سنتمتر وسعة فتحه أي(القطر 65ستم)، في حين نجد كل عمود 91ستم والتاج 18ستم، كما نجد في وسط التجويف عمود ارتفاعه 1،31م.

كما ذكر انه نقل في القرن11 هـ/17م إلى جامع الخاصكي، هذا المحراب تحفة نادرة من نوعها وثمينة ذات قيمة تاريخية وأثرية، وقد تنبه إليه الإنجليز أثناء احتلالهم العراق، وحاولوا انتزاعه ونقله إلى بلادهم لعرضه في متاحفهم.

بعد تصدع جامع الخاصكي إثر الحرب العالمية الأولى، تقدم أهل المحلة بعرض إلى وزارة الأوقاف، مطالبين إياها أن تتخذ كل التدابير للمحافظة على هذا المحراب، إلى أن يعمر الجامع مرة أخرى، وفي سنة(1343هـ/1925م) كتب وزارة الأوقاف إلى إمام الجامع تأمره بالمحافظة عليه لكنه رفض، فاضطرت الوزارة إلى نزعه- المحراب- من ووضعه في صندوق خشبي، وظل محفوظا في مبني الأوقاف[122]، حتى تم نقله إلى متحف القصر العباسي في الغرفة السادسة[123]، وبقي هناك حتى سنة(1381م/1961م)، ثم تم نقل إلى المتحف العراقي، وعرضه في قاعات التي تختص بالمعروضات الإسلامية تحت رقم 1185ع و26463 م ع.

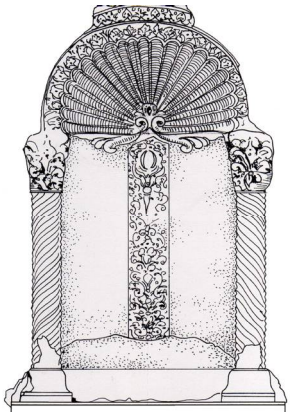

شكل رقم 04 : مقطع عمودي لواجهة محراب ابي جعفر المنصور (جامع الخاصكي).مقياس الرسم : 10 / 1

صنع المحراب من قطعة واحدة من الرخام المصفر، تتوجه من الأعلى قبيبة على هيئة محارة، تتفرع من ضلوعها ورقة تتكون من خمسة أضلاع تقع في الوسط، وحافة محورة على هيئة عقد نصف دائري مفصص يتكون من ستة عشر فصا، ويعلو المحارة شريط نباتي عرضه8

سنتم ويحتوي على أوراق وعناقيد من العنب.. **(شكل رقم:04).**

6-2-1-2- المحراب من الخارج:

6-2-1-2-1- العقـد:

المحراب على شكل كوة تحمل في كل جانب عمودا يرتكز عليه العقد النصف دائري المفصص(شكل رقم :04)، ظهره محدب ليماثل تقعير التجويف الداخلي، ويتوجه إلى الأعلى على شكل محارة تغطي التجويف ذو القاعدة البيضاوية **(مخطط رقم: 04).**

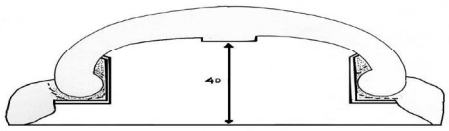

مخطط رقم: 04.مقطع أفقي لمحراب مسجد ابي جعفر المنصور (الخاصكي).مقياس الرسم 100/1

6-2-1-2-2- العمودان:

ترتكز هذه المحارة والعقد النصف دائري مباشرة على تاجين كورنثين[124]،محمولين على عمودين حلوزنيين، طول كل منهما92 سنتم ، وقد أصيب بتلف في الجزء الأسفل إثر العوامل الطبيعية وبنقله من مكان إلى أخر ورمم بالحبس، ويرتكز بدن كل عمود على قاعدة ذات شكل مخروطي ناقص ارتفاعه 17سنتم وترتفع على أرضية المحراب ب 11سنتم والقاعدتان خاليتان من الزخرفة. وفي وسط تجويف المحراب عمود زخرفي يمتد من أسفل الورقة المركزية إلى أسفل أرضية التجويف ارتفاعه 1،31سنتم، وقد زال القسم الأسفل منه بمقدار 40 سنتم ورمم بالحبس.

6-2-1-3- العناصر الزخرفية:

نظرا لثراء هذا المحراب وتعدد زخارفه النباتية التي شكلت تشكيلا محكما وأضفت عليه جمالا خارقا، ونظرا لأهميته التاريخية و يعد الفريد من نوعه في العالم، وبما أنه قطعة واحدة تحمل عنصرا واحدا وهي الزخرفة النباتية التي تزين القبة المحارية في شكل شريط نباتي بارز عرضه 8 سنتم ،مشكلا من أوراق نباتية وعناقيد العنب، وشكل هذه الأوراق والعناقيد مع بعضها بساق نباتي متعرج، هذا الشريط يبرز عن واجهة المحراب بحوالي6 سنتم، وأسفل هذا البروز نجد شريطا نباتيا عرضه 7ستم إلى 10ستم يتكون من العقد المفصص، يتألف من أوراق

متعددة الأضلاع وبين كل ورقتين كاملتين نجد نصف ورقة زهرية مكونة من ثلاثة أغصان، هذه الزخارف بارزة قليلا،هذا البروز يدنوا من حافة المحارة أو فصوصها ويتدرج متسعا، فهي أكبر فتحة عند رأس المحارة منها عند أطرافها.

أما الضلوع السبعة عشر فتتفرع جميعها من ورقة العنب الخماسية التي تقع في المركز ، وقد حفر على الورقة ثلاثة حفر أو عيون، ومن أسفل هذه الورقة يتفرع نصفان من الأوراق النخيلية، يقع كل نصف في نهاية الضلوع في كل من الطرفين. وقد احتوت زخرفة كل واحد من التاجين على صفين من أوراق الأكانتس[125] والأوراق النخلية، واختلفت في كلى التاجين، فالأيسر تتدلى أوراقه على نفسها نحو الأسفل ، كما تبدوا أوراق النصف السفلى منها أقل اتساعا من أوراق النصف العلوي، والملاحظ أن عروقها دقيقة تظهر بوضوح وراء هذه الأوراق الناتئة، مما يدل على براعة الفنان، أما التاج الأيمن فتزينه أوراق الأكانتس المحفورة بعمق والمسننة وتقف منتصبة بشكل الطراز السوري[126] ، وبين بدن العمود وأسفل التاج شريط زخرفي ضيق عرضه 2 سنتم يدور حول عنق العمود وعليه أشكال دائرية، الواحدة بجانب الأخرى تشبه حبات عقد التسبيح. ويدنوا من هذه الحلية العمودان الحلزونيان وقد سبق أن أشرنا إلى وجود عمود زخرفي وسط هذا التجويف ممتدا من أسفل الورقة المركزية إلى أسفل أرضية المحراب، وقد زال القسم السفلى منه بمقدار 40 سنتم ورمم بالجبس للمحافظة عليه، ويعلو الجزء المرمم أشباح بشكل أوراق العنب وهي ليست واضحة، وينتهي علوها بمزهرية وضعت في داخلها حبة صنوبر على جانبيها أنصاف أوراق النخيل، وفي أعلاها ورقتان من أوراق العنب ويعلوا هذه المزهرية وعاء يشبه الكوب حفر على قاعدته بعض الخطوط،وفي أعلاه بعض الزخارف لكنها غير واضحة، وتخرج من فوهتها ثلاثة أوراق من الأكانتس وفوقها شكل نباتي قرني يشبه الجزر، وعلى جهته اليسرى ورقتان من أوراق العنب بينهما عنقود، وعلى الجهة اليمنى ورقة عنب أخرى وعنقودان، وقد قطع الشكل الجزري بغصن نباتي محيط به، ويعلوا هذا الشكل ما يشبه القلب على جانبيه فروع نباتية وأوراق.

إن زخرفة هذا المحراب وجماله المتناسق يرجع للعهد الإسلامي الأول وللفن الإسلامي المتأثر بالفن البيزنطي، وأسلوب زخرفته يشير إلى تطور الزخارف السابقة للإسلام في منطقة الشرق الأدنى.

ولاحظنا أن ظهر المحراب يختلف عن باقي المحاريب التي تكون ظهورها بشكل تربيع كامل غير مدور، بينما ظهر هذا المحراب محدب، وقد وضع بهذا الشكل للتخفيف من حدة الثقل.

أما فيما يخص مواد البناء المستعملة لبناء هذا المحراب، فهي عبارة عن قطعة واحدة من الرخام الأبيض المصفر ذو لمعان، ولا يستبعد أن يكون قد صنع بالشام ونقل إلى بغداد ، وذلك لأن نوع الرخام الذي صنع منه لا يوجد ما يشبهه في أرض ألعراق ، ولأن زخارفه تمت بصلة كبيرة بالزخارف الهلنيستية الأموية التي كانت سائدة في منطقة الشام[127]

وبناء على أوصاف المحراب السابقة نلاحظ أنه من نوع المحاريب الجاهزة التي تم إنجازها بواسطة النحت الدقيق، ونظرا لغلاء المادة وندرتها بذل الفنان جهدا فنيا معتبرا لإخراجه بهذه الصورة الجميلة و عليه يمكن اعتباره نموذجا فريدا من نوعه الأمر الذي جعله نقطة جلب، فأقبل عليه بعض الولاة ورغبوا في نقله إلى المساجد التي بنيت فيما بعد.

ويتضح مما تقدم أن محراب مسجد المنصور، يمثل نموذجا للمحاريب ذات الشكل المجوف، وقد ارتأينا استكمالا لهذه الدراسة أن نظيف نموذجا آخر من الأندلس يمثل طرازا المحاريب المضلعة في بلاد المغرب.

-6-2-2 محراب المسجد الجامع بقرطبة .

-6-2-2-1 المحراب من الداخل

6-2-2-1-1التخطيط

المحراب عبارة عن كوة سداسية الأضلاع تتوج جدار القبلة من بيت الصلاة، وهو المثال الوحيد في العمارة الإسلامية بهذا التخطيط الهندسي

هذه الكوة تتكون من ثمانية ألواح رخامية طول كل واحدة منها ثمانية أذرع،أي ما يعادل4 متر، وعرض ستة ألواح منها ستة أشبار، وعرض اللوحتين الباقيتين ثلاثة أشبار إلى موضع الرف المستدير لموضوع على رؤوس الألواح المعمولة من الرخام،[128] (**مخطط رقم : 05**) (**صورة رقم: 2**).

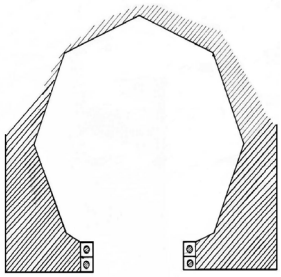

مخطط رقم :05 مقطع أفقي لمحراب المسجد الجامع بقرطبةمقياس الرسم 100/1

صورة رقم: 02 تبين كوة محراب المسجد الجامع بقرطبة

-2-1-2-2-2-6لقبـة:

يغطي جوف المحراب قبيبة رخامية تتكون من قطعة واحدة مشبكة ومحفورة ومزينة بعدت ألوان من الذهب و البلازورد[128] وقد وصفها المؤرخون: (سقف القبو رخامة بيضاء منقورة بالحديد على صفة المحارة **(شكل رقم:10)** ، فقد أحكمت وأنزلت في موضعها بأتقن صنعة ترتكز فوق ثماني أضلاع)[129].

هذه القبيبة المحارية محورة عن الطبيعة منبتها في الركن،(**صورة رقم 3**)، وهي بذلك تشبه قبيبة محراب المنصور ببغداد ؛أي أن بها تأثيرات من المشرق الإسلامي، وتعتبر النموذج الثاني بعد قبيبة محراب جامع المنصور.

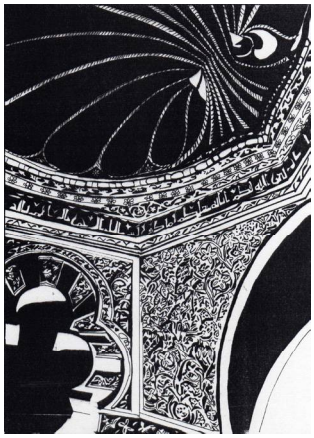

شكل رقم:05 **صورة رقم : 03**

منبت قبيبة محراب المسجد الجامع بقرطبة (عن جوميث مورينوا)

6-2-2-1- المحراب من الخارج.

6-2-2-2-1- العقـد:

عقد محراب المسجد الجامع بقرطبة على شكل حذوة الفرس ، ويتألف من سنجات مستطيلة تمتد منكبيه، وقد وصفه أبو إبراهيم محمد بن صاحب الصلاة الولبني عند حضوره لمشاهدة الاحتفال بليلة القدر بقوله (قوس محرابه أحكم تقويس، ووشم يمثل ريش الطواويس، حتى كأنه بالمجرة مقرطق، وكأن اللازورد حول وشومه وبين رسومه نتف من قوادم الحمام أو كشف من ظلل الغمام)[130].

ونستنتج من هذا الوصف أن تقويسة المحراب محكمة على شكل حذوة الفرس، وقد زينت بأنواع الزخارف والألوان، حتى تبدو كأنها وشم أو ريشات من أرجل الحمام الجميلة أو قطع من السحاب تزين أديم السماء، (صورة رقم:04) **(شكل رقم 06).**

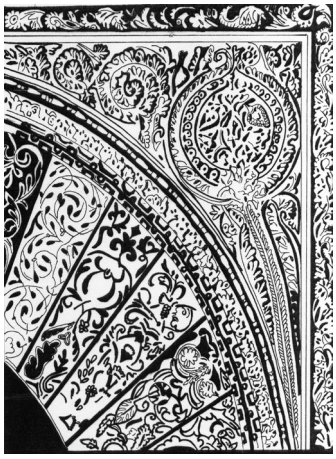

صورة رقم : 04

واجهة محراب المسجد الجامع بقرطبة

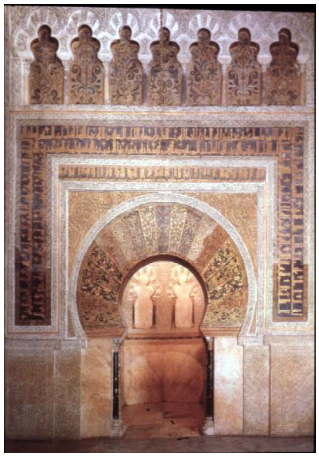

شكل رقم : 06

زخرفة تزين كوشة عقد محراب المسجد الجامع بقرطبة

(عن جوميث مورينوا)

كان أهل الأندلس ينظرون إلى المسجد بنظرة لا تقل عن نظرتهم إلى المسجد الحرام، وكانوا يؤمونه في المناسبات الكبرى، ويطوفون به ويحفون بمحرابه.

طوله من القبلة إلى الجوفة ثمانية أذرع ونصف،أي4،25 متر، وارتفاع قبوه ثلاثة عشرة ذراعا

ونصف، أي ما يعادل 7أمتار وعرضه من الشرق إلى الغرب 4أمتار.كان طبيعيا أن يبلغ محراب المسجد الذروة في الروعة والجمال، حيث يؤم الخليفة بالمسلمين بصفته إماما- أيام الجمعة والأعياد بالموعظة والسيرة الحسنة.

-2-2-2-6 العمودان:

عقد المحراب قائم على زوجين من الأعمدة الرخامية،كانتا تزينان عضادتي محراب عبد الرحمن الأوسط،ثم اقتلعهما مهندسو الحكم ونقلهما إلى الزيادة المحكمة لتوضع في موضعها من المحراب الجديد.

تتميز زوج من تيجان هذه الأعمدة بصف من أوراق الأكانتس التي تنحني من أعلاها وعددها ثمانية، وتعلوها أربعة ركنية يتوسطها في كل وجه غصنان نباتيان متداخلان على شكل دائرتين متقاطعتين، ينتهيان من أعلى ورقتين من الأكانتس، تنبت في أعلاها لفيفتان ركنيتان متدابرتان في كل جانب، ويتفرع منهما في الوسط لفيفتان متقابلتان، وكلتاهما أصغر من اللفيفتين الركنيتين، ويزدان طنف-كورنيش-التاج عند منتصفه بزهرة كبيرة[131] (**صورة رقم :05**).

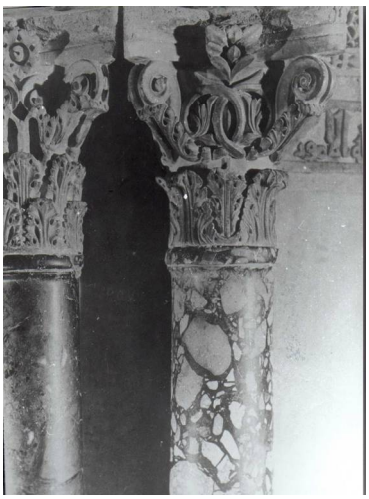

صورة رقم: 05 عمودا محراب المسجد الجامع بقرطبة

2-2-6 العناصر الزخرفية:

نظرا لثراء هذا المحراب بالزخارف المتنوعة التي شكلت تشكيلا محكما من طرف الفنان بواسطة المواد الثمينة، نحو ما تم عليه المسجد الجامع بدمشق أيام الوليد، يمكن أن نقسم هذه العناصر إلى ما يلي:

6-2-2-3-1- توزيع العناصر الكتابية:

يغطي منكبي عقد المحراب كتابة كوفية تصطف في ثلاثة أشرطة مذهبة على أرضية حمراء، نجد في الجهة اليمنى من عقد المحراب النص التالي:

((بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، لقد جاءت رسل ربك بالحق))[132] ،(أمر الإمام المنتصر بالله عبد الله الحكم أمير المؤمنين)[133]. **(شكل 07 رقم: 1).**

وفي الجهة اليسرى نجد النص التالي: ((أصلحه الله مولاه وحاجبه جعفر بن عبد الرحمن رضي الله عنه ينصب هذين المنكبين فيما أسسه على تقوى الله من الله ورضوان فتم ذلك في شهر ذي الحجة سنة أربع وخمسين وثلثماية))[134](**شكل07 رقم :2).**

1

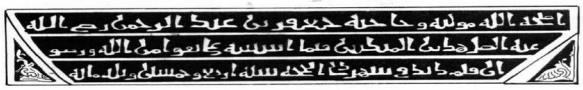

2

شكل رقم : 07اشرطة كتابية تزين منكبي المحراب.- عن امادور

ويزين المحراب من الداخل لوحات ملساء من الرخام المجزع،يعلوها شريط بارز من الرخام، نقشت فيه كتابة كوفية بارزة، هذا نصها:((بسم الله الرحمن الرحيم حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطي وقوموا لله قانتين))[135].

(أمر الإمام المنتصر بالله عبد الله الحكم أمير المؤمنين أصلحه الله بعد عون الله فيما شيده من هذا المحراب بكسوته بالرخام رغبة في جزيل الثواب وكريم المآب فتم ذلك على يد مولاه وحاجبه جعفر بن عبد الرحمن رضي الله عنه بنظر محمد بن تمليخ وأحمد بن نصر وخالد ابن هاشم أصحاب شرطته و مطرف بن عبد الرحمن الكاتب عبيدة في شهر ذي الحجة من ستة أربع وخمسين وثلاث مئة ومن يسلم وجهه إلى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى وإلى الله عاقبة الأمور)[136].(**شكل رقم:08).**

شكل رقم : 8اشرطة كتابية تزين واجهة المحراب. (عن ليفي بروفنسال)

يعلو هذه الزخرفة الكتابية رف بارز من الرخام لف حول جوف المحراب، ويستند على مساند مزينة بتوريقات محفورة حفراً غائرة على أسلوب أوراق التيجان، ويجري تحت هذه المساند مسبحة حباتها بارزة، وبين المسند والمسند كتابة بارزة في إطار، وفي الإطارين الواقعين إلى اليمين نجد كتابة كوفية هذا نصها:(عمل فتح وطارق) وفي الإطارين الواقعين إلى اليسار نجد النص التالي:(عمل نصر وبدر)وهما من فتيان الخليفة،كل هذه التوقيعات من طرف الفنانين تقع في وزرة الجدار الداخلي للمحراب وإفريزها،كلاهما من الرخام الأبيض عليهما توقيع الفنانين نصر وبدر ثم فتح وطارق، والإفريز الذي يضم التوقيعات،يكشف عن تأثير الأسلوب الكلاسيكي في تكوينه من استخدام الزخارف التي تزين الكوابيل والمسطحات المربعة[137].

يعلو الإفريز المذكور كتابة كوفية تتضمن آية قرآنية محصورة بين بحرين من الفسيفساء المذهب في أرض الزجاج اللازوردي بمحيط المحراب هذا نصها:

((**ذَلِكَ عَالِمُ الغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ العَزِيزُ الرَّحِيم**))[138].((**هُوَ الحَيُّ لاَ إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِينَ الحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**))[139].

(موفق الإمام المنتصر بالله عبد الله الحكم أمير المؤمنين أصلحه الله لهذه البنية المكرمة ومعينة على نيته الخالدة في التوسيع لرعيته.....ما أليه وإليهم الرغبة فيما ابتدأ من فضله فيهم،وصلى الله على محمد .أمر الإمام المنتصر بالله عبد الله الحكم أمير المؤمن وفقه الله مولاه وحاجبه جعفر بن عبد الرحمن رحمه الله بتشبيك هذه البنية فتم ذلك بعون الله بنظر محمد بن تمليخ وأحمد بن نصر وخالد بن هاشم أصحاب شرطته ومطرف بن عبد الرحمن الكاتب)[140].

وبنفس الإفريز نجد الكتابة التالية((بسم الله الرحمن الرحيم هو الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون))[141]. **(شكل رقم : 09)**.

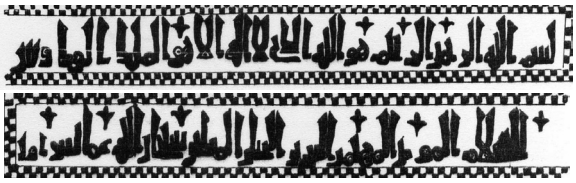

شكل رقم : 9اشرطة كتابية تزين واجهة المحراب

6-1-2-3-2- توزيع العناصر النباتية:

تزين جدار المحراب وجنب عضادتيه لوحتان من الرخام الأبيض حفرت فيهما زخارف من التوريقات الدقيقة حفراً غائرة وعميقة، تبرزها كما لو كانت مفرغة على نحو ما تشاهده في المنمنمات (**شكل رقم: 10**) .وتعتبر هذه الزخارف من أروع أمثلة فن النحت على الرخام في العصر الإسلامي.

شكل رقم : 10لوحات رخامية تزين مجنبات المحراب

6-1-2-3-3- توزيع العناصر الهندسية:

العناصر الهندسية قليلة في واجهة هذا المحراب، فهي تتمثل في تخطيطات هندسية متشابكة وتختص بها النوافذ باستثناء النافذة الحديثة، كما نجد توريقات كبيرة مضفورة، ومن جهة أخرى تتجلى الزخرفة الهندسية المؤلفة من مربعات تتشابك فيما بينها، إلى جانب تشبيكه تتألف من دوائر ومربعات متعاقبة، وتشبيكات تظم نجوم ثمانية الأقطاب تصل إلى تكوين تشابك مثمن معتمدة على أشكال رباعية إلى جانب الفسيفساء المكونة من مربعات ومثلثات.

نستخلص من دراسة الجامع بقرطبة وتحليل عناصره الزخرفية، أنه كان يمثل ظاهرة معمارية جديدة في عمارة المغرب والأندلس من ناحية التخطيط الهندسي للمحراب، بالإضافة إلى كونه علامة بارزة في جدار القبلة، لتحديد الاتجاه وتوحيد صفوف المسلمين نحو اتجاه قبلتهم عند أداء الصلوات.

وللوقوف على مدي التطور الذي عرفته محاريب المغرب الأوسط والأندلس، ينبغي علينا التطرق إلى دراسة مثالين من العهد المرابطي حتى يتسنى لنا معرفة عناصر هذا التطور المعماري والفني.

6-3- المحراب في عصر المرابطين.

6-3--1 محراب مسجد القرويين

6-3-1--1 المحراب من الداخل

لقد اهتم المرابطون بشيئين رئيسيين عندما تسلما الحكم بالمغرب سنة (448م/1056م)، أولهما بناء عاصمة لهم تكون قريبة من ديارهم بالصحراء، وثانيهما العناية بجامع القرويين بفاس، باعتباره أهم جامع في العاصمة الأولى للإسلام بالمغرب الأقصى ، هذا الصرح التاريخي و الديني قامت ببنائه فاطمة بنت محمد الفهري سنة (245هـ/859م) حيث وهبت كل ما ورثته لبنائه.

ولقد تميز خلال مرحلتيه الأولى والثانية بطابع ألبساطة ، إلى حين ظهور دولة المرابطين، الذين قاموا بإضافات على المسجد إلا أنهم حافظوا على ملامحه ألعامة ، ويكفي الوقوف أمام جدار القبلة، هذه الظاهرة تتجلى في اللوحة التي نقشت بالخط الكوفي تخلد تاريخ بناء المسجد الإمام داود بن إدريس[142] إذ تعتبر نموذجا واضحا للبساطة التامة، التي كان الأقدمون يستعملونها في كتاباتهم. ومنذ الوقت الذي ظهرت فيه دولة المرابطين ظل المغرب مركز القوة الحية للإمبراطورية- البقعة التي تحتوي على أكثر المباني المعمارية- وكل ما أدخله المرابطون من تغيرات وزيادات على شكل المسجد هو أنهم رغبوا في اكتساب المحراب منظرا أبهي وأكمل.

6-3 1-1-1- التخطيط:

يتخذ المحراب شكلا خماسي الأضلاع، فتحته عبارة عن قوس أكثر من نصف دائرة،يبلغ قطرها 1،55م وارتفاعه 1،30م واتساع فتحة القوس 1،10م(**مخطط رقم:06**).

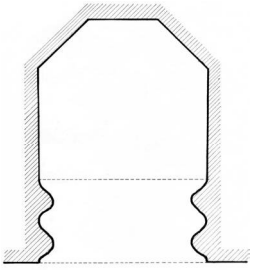

مخطط رقم : 06مقطع افقي لمحراب مسجد القرويين بفاس.مقياس الرسم 100/ 1

ويعتبر هذا المحراب النموذج الأول بالمغرب ألإسلامي وأجمل المحاريب التي خلفتها لنا هذه ألدولة ، لا يزال يحافظ على شكله، ويظهر هذا جليا في واجهة المحراب الخارجية، ذات الزخارف الكتابية والنباتية و ألهندسية، هذا مما يدل على ما كان للمحراب من مكانه محترمة ومقدسة (صورة رقم 06).

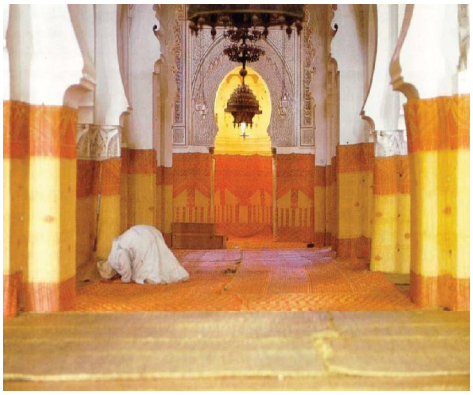

صورة رقم: 6واجهة محراب مسجد القرويين بفاس

-2-1-1-3-6 القبـة:

إذا ما تجولنا داخل هذا المسجد وبالضبط في البلاطة الوسطى، نلاحظ سلسلة قباب ممتدة على طول البلاطة، تظهر ما أبدعته عبقرية الفنان المغربي منذ ذلك التاريخ المبكر ، فابتداءً من قبيبة المحراب نجد في أعلى هذا التجويف قبيبة مقرنصة ، منبتها وريدة ثمانية الفصوص ترتكز على مثمن الأضلاع، وتقوم على أقواس مفصصة محمولة على أسوار قصيرة ذات تيجان، تتخذ أشكالا نباتية من سعف النخيل في تركيب متناسق الأجزاء في كل جهة منها وعند منبت القوس.

هذه القبيبة ثرية من حيث تطريزها ووشيها، فيها ما نقش بالخط الكوفي و ألنسخي، و بها تتعانق أشكال الزخارف لتكون منظرا خلابا .

-2-1-3-6 المحراب من الخارج .

-1-2-1-3-6 العقد:

تقويسة هذا المحراب حددتها فتحة العقد، وهي عبارة عن نصف دائرة يبلغ قطرها 2،89 م وارتفاعها 2،33 م واتساع فتحتها 2،20 م، حافتها مكونة من شريط مجدول على شكل ضفيرة هذه الحافة موجودة بين فتحة القوس والواجهة، ونلاحظ أن هذه الزخرفة فريدة من نوعها.

6-3-1-2-2- العمودان :

فتحة العقد ترتكز على عمودين رخاميين بارزين، يبرز كل واحد منهما بحوالي 0،7 سنتم، نقلت مع أكاليلها ذات الطراز الكورنثي من المباني الأموية بالأندلس[143] (صورة رقم:07)

صورة رقم: 7تبين عمودا المحراب.

6-3-1-3-3- العناصر الزخرفية:

هذا المحراب غني بالزخارف الكتابية والنباتية والهندسية، شكلت تشكيلا محكما من طرف الفنان المغربي، الذي تأثر بالعمارة الأندلسية في تشكيل زخارفه، هذه الظاهرة نجدها أيضا في محراب المسجد الجامع بتلمسان، ونظرا لأهميته وللتطورات الزخرفية بينه وبين المسجد الجامع، قسمت هذه العناصر غلى ما يلي:

6-3-1-3-1- توزيع العناصر الكتابية:

لقد شكل العنصر الكتابي ظاهرة بارزة في زخرفة هذا المحراب، حيث تنوعت موضوعاتها بتنوع أسلوب الخط الذي نفذت به النصوص الكتابية، إذا اعتمد الفنان الخط الكوفي البسيط و ألنسخي المغربي، حيث نقرا ما يلي:

- **الشريط العمودي الأيسر نقرأ:** ((أعوذ بالله من الشيطان الرجيم)).
- الشريط الأفقي وينقسم إلى قسمين:
  - القسم الأول نفذت فيه الآتية التالية((بسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم)).
  - القسم الثاني.((تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة))[144].

ويفصل بين هذين الشريطين شكل مثمن، ويصنف مع اللوحات التذكارية ويتضمن مايلي:

(عمل عبد الله بن محمد وكمل بحمد الله وحسن عونه في شهر رمضان المعظم إحدى وثلاثين وخمس مائة).

- الشريط العمودي الأيسر نقرأ: ((يا أيها الذين أمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخيرات لعلكم تفلحون))[145] صدق الله العظيم.

الشريط العلوي الذي بتصدر واجهة المحراب:((بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على محمد رسوله الكريم أرسله بالهدى بشيراً ونذيرا وعلى أله الطيبين الطاهرين وسلم تسليما ولا حول ولا قوة إلى بالله العظيم وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين مما أمر بعمله عن أمر الملك العدل الآمر بالخير والفضل أمير المسلمين وناصر الدين علي بن يوسف بن تاشفين أدام الله له أسباب التأييد والتمكين الفقية المشاور والأجل الإمام الفضل أبو محمد بن عبد الله بن معيشة الكناني أدام الله توفيقه، فعمل ابتغاء وجه الله العظيم ورجاء ثوابه الجسيم وعنده تعالى وجل حسن الثواب وكريم المثاب فرحم الله من قرأه ودعا إلى الله سبحانه في عاجل القبول وإعظام الأجر والمجازاة له يوم النشر والحشر، وكان إتمامه ذلك كله بحمد الله وعونه وتوفيقه ومنه في شهر رمضان المعظم في سنة إحدى وثلاثين وخمسمائة)).

ونلاحظ أن قبيبة المحراب تحتوي على ثمانية أقواس حذوية الشكل،نقش على كل منها بالخط الكوفي البسيط آيات قرآنية.منها ما هو ظاهر استطعنا قراءته،ومنها ما هو مطموس نظرا لوجود طبقات الجص التي ظلت تكتم أنفاس هذه الكتابة الأثرية.

هذه الكتابة قريبة الشبه بكتابة المسجد الجامع بالقيروان وهي تتمثل في الآية التالية:

القوس الأول:((أقم الصلاة لدلوك الشمس إلى غسق الليل وقرآن الفجر))[146].

القوس الثاني:(لقد صدق الله رسوله.....)) .

-1-3-1-3-6 توزيع العناصر النباتية:

وإذا ما انتقلنا إلى العناصر الزخرفية النباتية التي أفرغ فيها الفنانون المغاربة جهودهم، فنجد أنفسنا أمام حقول من باقات متنوعة من الزهور والأوراق المختلفة، فهناك أشكال من سعف النخيل المضلع والبسيط وكيزان الصنوبر الذي تطرز به بعض الفراغات إلى جانب زهرة الأكانتس التي تبدو في حالة زاهية.

6-3-1-3-2- توزيع العناصر الهندسية:

تشكل العناصر الهندسية المختلفة في هذا المحراب أهمية خاصة، بحيث نفذت بطريقة محكمة المقاييس والأبعاد.(صورة رقم:08).

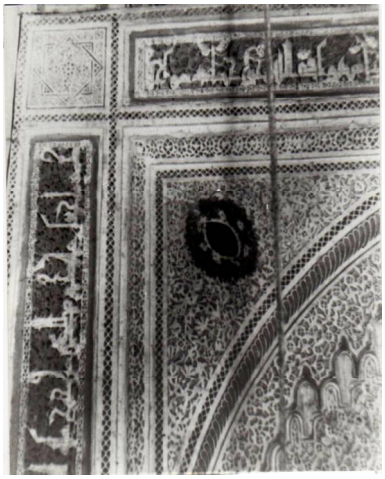

صورة رقم: 8كوشة المحراب توضح العناصر الزخرفية

6-3-2- محراب مسجد الجامع بتلمسان:

6-3-2-1- المحراب من الداخل:

يعتبر المسجد الجامع بتلمسان من أهم مساجد المرابطين، التي بقيت تطاول الزمن محتفظا بشكله الأصلي، الذي أسس على يد يوسف بن تاشفين سنة(530هـ/1136م).

إن الشكل المستدير لحنايا المحاريب هو الغالب في العصر الإسلامي المتمثل في الدولة الزيرية الحمادية، فنجد محاريب ذات تخطيطات مجوفة أو مقوسة متعددة الأضلاع، ونلاحظ بدقة استعمال هذا النوع من التخطيط في العصر العباسي وبالضبط في مسجد المتوكل وأبي دلف، كما قام أبو إبراهيم أحمد ألأغلبي سنة(242هـ249هـ/856م863م) بتكسية محراب المسجد الجامع بالقيروان- تونس- ذو الشكل المثمن بعد زخرفة القسم الداخلي من التجويف، و بعد هذا نجد مهندسي الحكم الأول يقومون ببناء محراب المسجد الجامع بقرطبة بشكل مجوف ثماني الأضلاع[147].ومن خلال ما تقدم نستطيع أن نحكم بأن المرابطين ليسوا أول من استعمل المحاريب المضلعة، وإنما الشيء الذي ينتسب إلى هذه الدولة هو ابتكار المحراب ذو الشكل الخماسي الأضلاع.

6-3-2-1-1-1- التخطيط :

محراب المسجد الجامع بتلمسان يتخذ شكلا خماسي الأضلاع، فتحة القوس عبارة عن قوس أكثر من نصف دائرة يبلغ قطرها 1،53م وارتفاعها 1،31م واتساع فتحة القوس 1،80م ،ظهر لأول مرة في العمارة الإسلامية . (مخطط رقم: 07، 11) .

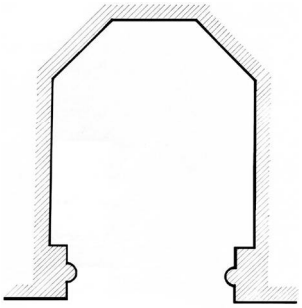

مخطط رقم : 07.مسقط أفقي لمحراب مسجد سيدي بومدين مقياس الرسم 100 / 1

6-3-2-1-2-2- القبة

نلاحظ في أعلى هذا التجويف قبيبة وإفريزا مثمنا وأعمدة ذات أطر قائمة الزوايا، إضافة إلى إفريز خماسي الأركان، وتنتهي جوفة المحراب بدائرة مضلعة ومفصصة، على شكل قبيبة صغيرة ذات ستة عشر أخدودا (صورة رقم:09).

صورة رقم:09.قبيبة محراب المسجد الجامع بتلمسان.

لم يكن هذا النوع من القبيبات جديدا علينا في المغرب، بل وجد في قبة القيروان التي ترجع إلى العهد ألأغلبي، وفي القبة التي تتقدم محراب جامع قرطبة تعلوها أيضا قبيبة صغيرة ذات أخاديد نصف دائرية موضوعة بالتناوب مع مثلثات[148]، كما وجدت بالجعفرية قبيبات ذات

تسعة أضلاع ومن الملاحظ أن هذا العنصر استعمل في تلك المساجد المذكورة خارج جوفات المحاريب، ويبدوا أن المرابطين هم أول من استعمل هذه القبيبة لتتويج مشكوات تجاويف محاربهم[149]، و هذا مخالفا لما في العصور الإسلامية السابقة، و القبيبة السابقة تعتبر مظهرا للتأثيرات الأندلسية مع إدخال تحسينات على شكلها التخطيطي، والملاحظ أنها تتكون من عناصر زخرفية متعددة.

-2-2-3-6المحراب من الخارج

-1-2-2-3-6 العقـد

تقويسة هذا المحراب عبارة عن قوس أكثر من نصف دائرة حددته فتحة العقد، إلى جانب عقد آخر أكثر من نصف دائرة،هذه الدائرة الثانية يبلغ قطرها 2،88 م وارتفاعها 2،32 م واتساع فتحتها 2،20 م، ومركز هذه الدائرة الأخيرة يوجد على ارتفاع حوالي 22سنتم من السطح الأول، وقد أحدثت المسافة بين المركزيين شكلا جديدا.

أنهم لم ينقلوها كما هي بل غيروا فيها بما يناسب ذوقهم الفني، وتظهر بوضوح في وضع مركز مفتاح العقد في عددها ومكانها وزخرفتها.

الصنـج: تقع في المنطقة المحصورة بين العقد الحذوي الشكل والعقد الإكليلي، وهي عبارة عن قطع حجرية تأثثت قليلا، تتخللها فجوات ذات شكل شبه منحرف خالية من الزخرفة، يصل عددها بمحراب المسجد الجامع بتلمسان سبعة عشرة صنجة، وتسعة عشرة بمحراب مدينة قرطبة، وخمسة بمحراب مدينة الزهراء. وقد ظهر هذا النوع من الزخرفة في تحلية واجهات المحاريب، ويرجع أصله إلى جامع قرطبة، وطريقة بنائها عبارة عن صف يتكون من حجرة واحدة أو من المطلوب الأحمر والأبيض، مثلما هو في العقد الذي يحمل سقف جامع قرطبة، بينما نجد محراب المسجد الجامع بتلمسان مزخرفة بزخرفة عبارة عن كتلة حجرية بيضاء، واشتقاقها الأصلي جاء من العقد المنفوخ الذي اشتق من جامع قرطبة.

إن محراب المسجد الجامع بتلمسان يبلغ سبع مرات قطر الدائرة الصغيرة، وثلاثة عشرة مرة في قطر الدائرة الكبيرة، أما بالنسبة لمحراب مسجد قرطبة فيبلغ عشرون مرة لقطر الدائرة الصغيرة، والواحد والأربعون بالنسبة لقطر الدائرة الكبيرة[150]. أما في سيراقسطة يمثل الخامس بالنسبة للقصر الصغير، وثاني عشر للأكبر ، هذه الدقة المعطاة إذا ما قورنت بالمسجد الجامع بتلمسان نجده يتكون من ثلاث حواف.

- **الحافة الأولى:** توجد بين فتحة القوس والقوس الصغير زخرفة قد جمعت لبنات

العقد،ونلاحظ أن هذه الزخرفة ظهرت لأول مرة في تاريخ العمارة الإسلامية بمسجد قرطبة، وفي محراب مدينة الزهراء، رغم أن المرابطين قد أخذوا بهذه المباني، إلى أنهم لم ينقلوها كما هي بل غيروا فيها بما يناسب ذوقهم الفني، و تظهر بوضوح في وضع مركز مفتاح العقد في عددها و مكانها و زخرفتها.

- **شكل الصنج** (البنات): تتفق لبنات عقدي محراب قرطبة ومدينة الزهراء في شكليها الشبه المنحرف المقعر قليلا، في حين نجد لبنات عقد المحراب المسجد الجامع بتلمسان قاعدته العليا تأخذ هيئة شبه منحرف، عوض بعنصر دائري مزخرف بزخارف زهرية، أما محراب الجعفرية فقسمه العلوي مزخرف بعناصر نباتية، ومن ناحية أخرى نلاحظ اختلاف النسب بين ارتفاع القاعدتين:الصغرى والعليا مع اختفاء بروزاته، ويظهر هذا التغيير بشكل واضح[151].

- **الحافة المزينة**: تعتبر من ابتكار الفن المرابطين، فلا نجد لها مثيلا في الأندلس، وقد استطاع الفنان ألمرابطي إدخال هذه الحواف في العمارة الإسلامية، وهناك زخارف تتكون من سبعة عشرة إكليلا من خيوط بارزة وربعية[152]، محفورة على شكل ربع دائرة بدون أية زخرفة، وتتكون من أضلاع المثلثات وقوس كبير من الإكليل، في حين نجد الزخرفة النباتية قد شغلت القوس الأكبر من نصف الدائرة.

-**الحواف الدائرية**: زخرفت بإفريز من أوراق الأكانتس،حيث استخدمت بشكل كبير في منطقة الحواف المستطيلة (**شكل رقم:11**).

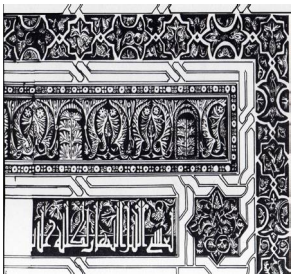

شكل رقم : 11نماذج من الزخرفة التي تزين إطار محراب المسجد الجامع بتلمسان.

- **الأركـان:** عددها أربعة، العلوي منها مزخرفة بعناصر نباتية في المركز الذي يفصله مسمار ذو رأس مخروطي الشكل ومزخرف بمراوح نخيلية، ليست هذه الزخرفة من ابتكار الفنان المرابطي، بل تبناها الفنانون التلمسانيون لزخرفة أركان محراب جامعهم بتلمسان، وحولها بما يناسب ذوقهم الفني (صورة رقم:09).

صورة رقم 09: زخارف كتابية و نباتية تزين أركان واجهة المحراب

6-3-2-2-2 العمـودان:

فتحة العقد ترتكز على عمودين من الجص بارزين، يبرز كل منهما على الجدار بحوالي(0،8 سنتم)، تؤطران المحراب من الجهة اليسرى.

- **العمود الأيمـن:** طوله أكثر من عرضه على شكل مستطيل،تبلغ مقاساته من الخارج(106×85 سنتم)،أما المقاسات الداخلية فتبلغ(62× 41 سنتم)، فهو ذو إطار عريض يزينه شريط من الكتابة الكوفية عرضه(10سنتم)، نص هذه الكتابة مايلي:

((نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين،يا أيها الذين أمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم (و)[152]افعلوا الخير لعلكم تفلحون))[153].

- **العمود الأيسـر:** مقاساته من الناحية الخارجية 87×76 سنتم، وهو أقل من العمود الأيمن بقليل؛ أي أضيق في الجزء العلوي ويتسع في الأسفل، به مستطيل صغير تبلغ مقاساته 32×22سنتم، تزينه زخارف نباتية وشريط من الكتابة يبلغ عرضها 10سنتم ونص هذه الكتابة قوله تعالى: بسم الله الرحمن الرحيم((في بيوت أذن الله أن تذكر فيه اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقامة الصلاة و إيتاء الزكاة يخافون يوما تتقلب فيه الأبصار))[154].

6-3-2-3-العناصر الزخرفيـة:

نلاحظ أن الزخرفة عامة تتميز بالسطحية حيث تلتصق مباشرة بالعنصر المراد زخرفته، هذا ما جعل أحد المؤرخين يقول: (بأنها لا تساهم في إيجاد توازن في البناء أو استقراره) [155].
و المقصود هنا أنها مجرد حلية معمارية فقط، وقد ثبت أثريا من الأبنية الأندلسية والمغربية معاً، أن كلا من الفنان الأندلسي والمغربي كانا يتجولان من الاتجاه المعماري إلى الاتجاه الزخرفي، هذا ما قام به مهندسو الحكم المستنصر الذي بلغ في عهده الفن المعماري درجة عالية من الكمال، وابتكر نظام القباب المضلعة التي تطورت بشكل عام إلى أن بلغت الذروة في المجال والكمال،كما يبدوا في قبة المسجد الجامع بتلمسان، وبهذا تتضح غلبة الاتجاه الزخرفي على الاتجاه المعماري في الأنواع الزخرفية، التي استعملت في الفترة المرابطية، وخاصة في المسجد الجامع .

-1-3-2-3-6 توزيع العناصر الكتابية:

لعب الخط العربي دورا هاما في تاريخ الفن الإسلامي الذي بدأ بسيطاً إلى أن بلغ الدقة، وأصبح عنصرا زخرفيا بكلتا فرعيه- الخط النسخي والكوفي-. أما العنصر ألمرابطي فقد احتوى على بعض الآيات والصيغ الدينية منها :

-**الصيغ الدعائية:** تبدأ بالبسملة، وتتصدر قبة الجامع والمقصورة، تعقبها صيغة((صلى الله على محمد وعلى أله وسلم))، إضافة إلى((صلى الله على محمد وعلى آله الطيبين وسلم)). إلى جانب الشهادتين((لا إله إلى الله محمد رسول الله)) كما هو الشأن بمنبر مسجد ندرومة، وتنتهي هذه الصيغ بعبارة ((بركة))التي تزخرف الحشوة اليمنى من إطار المحراب.

-**الكتابة التذكارية:** تخلد تاريخ البناء وتتصدر قاعدة القبة التي تتقدم المحراب، وحافة الحزام من المقصورة المحفوظة بمتحف تلمسان.

إذا ما تطرقنا إلى خصائص هذه الكتابة نجدها تشغل كل الحافة المربعة لقبة الجامع،نفذت بالخط النسخي المغربي الأندلسي على الجبس، ولا تتخلل عباراتها أية زخرفة حتى تحافظ على مظهرها الجمالي[156]، وهي ذات قيمة أثرية وتاريخية تحمل اسما مطموسا، وبقي التاريخ ظاهرا يسمح لنا بإرجاع الأثر إلى الأمير يوسف بن تاشفين، الذي خلف ولده في الحكم سنة(500هـ/ 1106م).

-2-3-2-3-6توزيع العناصر النباتية:

ظهرت في الفترة المرابطية أشكال زخرفة نباتية ذات تغيرات كثيرة، منها :

- **الأشكال البسيطة**: نجدها متمثلة في القبة ذات الأضلاع المتقاطعة وأقواس البلاطة.
- **الأشكال المركبة:** تتميز هذه الزخرفة بالثراء والتنوع، حيث نشاهدها في المسجد الجامع تزخرف الحافة المستطيلة الثانية للمحراب، وأنصاف المغازل المخرمة بقبة الجامع .
- **سعف النخيل:** هذه الأوراق مرت بنفس التغيرات التي حدثت بالسيقان ، غير أننا نجد النموذج الذي أخذته هذه الأوراق هي ورقة الأكانتس القديمة[157] ؛ أي ورقة الأكانتس المنبسطة أو المفروشة على الواجهة الأمامية بتفريعاتها الأصبوعية الشكل والعرق العمودي- وهي تزخرف الإفريز الموجود بإطار المحراب، والورقة المطوية تتبع العرق الأوسط وهي تزين قاعدة القبة، وأخيرا الأوراق ذات الاتصال البعيد بورقة الأكانتس البدائية[158]، إما أن تكون ملساء أو أصبوعية وهي الأكثر استعمالا .

6-3-2-3-2- توزيع العناصر الهندسية:

يبدو أن الزخرفة الهندسية لا تحتل مكان الصدارة، إذا استعملها الفنان ألمرابطي في زخرفة المسجد الجامع، وهي تؤطر الحواف المختلفة و الحشوات المتموجة للمحراب .

6-3-2-3-3- توزيع العناصر الحيوانية (الثعبانية):

إن الأقواس الأكثر استعمالا في الزخرفة الثعبانية، وهي الأقواس المفصصة التي لفتت انتباه المهندسين المسلمين، الذين ابتكروا ما يشبه الزخرفة الثعبانية، ويبدوا ذلك ظاهرا في المسجد الجامع بتلمسان انتقالا من الدعامة إلى القوس، على أن جميع الأقواس المفصصة لبيت الصلاة،حملت على دعائم متعامدة الشكل ما عدا الموجودة بالبلاطة المركزية[159]، ففي قوس الأسكوب الثاني من الناحية الشرقية، قوس بيت الصلاة، توجد ربعيه تأخذ عنصرا ثعبانيا، وجميع الأقواس المفصصة لبيت الصلاة محمولة هي الأخرى على دعائم متعامدة، باستثناء أقواس البلاطة المركزية التي زينت بزخرفة على شكل علامة استفهام. و خلاصة القول:أن الزخرفة الثعبانية استعملت للانتقال من الدعامة إلى القوس.

6--4المحراب في عصر الزيانيين:

6-4--1 محراب مسجد سيدي أبي الحسن.

6-4-1--1 -المحراب من الداخل:

يعتبر هذا المسجد من أهم المساجد الزيانية التي تعود إلى سنة (669هـ/1296م)، وقد أخذ اسم القاضي أبي الحسن الذي عاش في عهد أبي سعيد عثمان يغمراسن[160]، ويعتبر من أجمل المساجد الزيانية في مدينة تلمسان، إذ بعطينا نظرة كاملة على المدى الذي وصل اليه الفن الزياني من تطور في العمارة كما يمتاز عن باقي المساجد الأخرى المعاصرة له من حيث دقة الصنع وجمال الزخارف، رغم وجود بعض التأثيرات الخارجية التي استجلبت من الأندلس والشرق الأوسط، غير أنها انصرفت في قالب زياني ظهر في الآثار التي خلفها الأمراء الزيانيون بحيث تعد من أهم الآثار التي لا تزال تقاوم الزمن، كمحراب المسجد الذي يعتبر من أروع النماذج الإسلامية في الفن والعمارة بالمغرب الأوسط.

6-4-1-1--1 التخطيط:

يتصدر منتصف الحائط الجنوبي الشرقي، له شكل خماسي الأضلاع ارتفاعه 1،60م وعرضه1،30م وعمقه1،70م، طول الأضلاع المتعامدة مع المحراب 1،30م، هذا المحراب قريب الشبه من محراب المسجد الجامع بتلمسان أي الطراز المرابطي، حيث نجد القبيبة والكورنيش المثمن الأضلاع، ولائحات مستطيلة الشكل، وكورنيش مخمس الأضلاع (**مخطط رقم:08**)(صورة رقم:10).

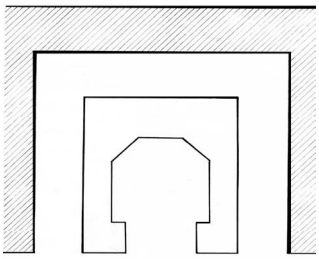

مخطط رقم : 21 مقطع افقي لمحراب مسجد ابي الحسن مقياس الرسم 001/1

صورة رقم : 01 واجهة محراب مسجد ابي الحسن

يعتبر هذا المحراب أجمل مثال للفن الزياني في الزخرفة الجصية من حيث النوع في الزخارف والمواضيع المختارة، إذا يحمل قوسا حذوي الشكل متجاوزا تتناوب فيه الزخارف الكتابية والهندسية سيرد لكلام في حينها.

6-4-1-1-2- القبـــة :

تغطى محراب المسجد قبيبة ذات مقرنصات، تقوم على قاعدة مثمنة الشكل، مرتكزة على ستة عقود حذوية الشكل، صغيرة مفصصة تحملها أعمدة اسطوانية من الجض، وتزين هذه القاعدة كتابة نسخية فوق أرضية نباتية متمثلة في الرقبة، وبمعنى أخر فمكان الانتقال يتم من المثمن إلى الدائرة، وبعد ذلك تأتي القبيبة التي تغطي المحراب المزينة بالمقرنصات، وفي وسطها زخارف نباتية، عبارة عن زهيرات متداخلة تشكل في الوسط نجمة،[161].

نجد هذه التغطية في محراب جامع القرويين بفاس، وجامع تنمل،وجامع الكتيبة بمراكش، يبلغ قطر قبيبة محراب مسجد سيدي أبي الحسن1،10م وعمقها 0،78م.

لقد أعطى كل من وليام وجورج مارسي نظرة إجمالية لهذه القبة ومسقطها هندسيا[162]، فهي ذات شكل مثمن الأضلاع تنتهي بقبيبة مركزية ذات أخاديد،تتألف من عناصر زخرفية،سأتحدث عنها في القسم الخاص بالزخرفة.

هذه القبيبة تتكون من مستطيلات مقوسة ومثلثات ومنحنيات وأشكال مختلفة وأسطوانات تعلوها كرات، ويتم الانتقال من المخطط الخماسي الأضلاع للمشكاة إلى المخطط المثمن للقبة،كما هو الحال للمسجد الجامع بتلمسان، وتعد قبيبة محراب مسجد سيدي أبي الحسن الوحيدة، التي بنيت على المخطط الخماسي والزاوية القائمة لهذه الأركان مزدانة بعناصر من المقرنصات، ويتم تكوين مربعين متداخلين وأربعة رؤوس حيث يوجد،هذا التخطيط يسمح بالامتداد الزخرفي لبقية أجزاء القبة، وتتميز هذه القبة بخاصية منفردة من حيث استخدام اللون،الذي يبدو في شكل مغازل مستطيلة بين الأخاديد (الصورة رقم:11).

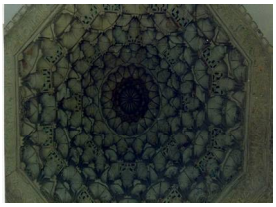

صورة رقم : 11قبيبة محراب مسجد ابي الحسن

أما فيما يتعلق بأرضية المحراب فقد فرشت ببلاطات مربعة من الجص، ساعدت على إيجاد تناسق وانسجام بين الأرضية والمظهر العام للمحراب، هذا مما يوحي ببراعة الفنان المغربي الذي استوعب الأساليب الأندلسية والمشرقية، حيث بلورها في قالب جديد متميز، يظهر في الانسجام بين الزخرفة ومواد البناء التي تتكون من مادة الجص.

-6-4-1-2 المحراب من الخارج .

1--2-1-4-6 العقـد:

إن الشكل خماسي الأضلاع للمحراب قد ظهر لأول مرة في العمارة الإسلامية بالمسجد الجامع بتلمسان، الذي اقتبسه بنو عبد الواد، و أدخلوا عليه بعض التحسينات، بعد ما كان المحراب المرابطي يبدو ضيقا عند فتحته، بينما نلاحظ اتساع المحاريب الأخرى التي نحن بصدد دراستها لا تختلف عن بقيت المساجد، كما نوضح أبعاد فتحتي محراب سيدي أبي الحسن ومحراب مسجد أولاد الإمام[163] في (جدول رقم: 04):

الأبعاد بالمتر	محراب مسجد سيدي أبي الحسن	محراب مسجد أولاد الإمام
1- العرض	1،30 م	1،18 م
2 - العمق	1،70 م	1،64م
3-الأضلاع المتعامدة مع المحراب	1،36م	1،24 م

جدول رقم 04: تبين أبعاد فتحتي المحراب

وعلى ضوء المعطيات السابقة، يمكن القول أن عقد كل من المحرابين السابقين على هيئة نصف دائرة منفرجة، تعطينا الأبعاد التالية (**جدول رقم: 05**):[164]

1-القطر	1،11م	1،20م
2-قمة القبة	0،90	1،90م
3-فتحة القاعدة	0،90	1،95م

جدول رقم05: تبين أبعاد فتحتي المحراب

6-4-1-2-2- العمودان:

من خلال الدراسة الميدانية تبن لنا ان صناعة عمودي المحراب قد شكلت من مادتي الجص و العقيق، ارتفاعها 90،1م وقطرها 0،15 سنتم، بينما نجد الجزء السفلي أسطواني الشكل ارتفاعه 0،14 سنتم وعرضه 0،16 سنتم.

يرتكز عقد المحراب من الجهتين على شكل متوازي المستطيلات، الذي يعلوا التاج ويبلغ ارتفاعه 0،27 سنتم أما الجزء السفلي يسبق التاج فقد زخرف بعنصر نباتي ملتوي، يليه الجزء العلوي الذي يمثل التاج على هيئة شكل مربع، وقد زخرف هو الأخر بتشبيكة من الأوراق والسيقان، قوامها محارة مركزية)، و قد زينت هذه المحاريب بأوراق، بعضها يلتف نحو الأعلى و البغض الآخر يتجه إلى الأسفل، كما احتوت هذه الوراق على مجموعة أخرى من المراوح النخيلية، ذات فص واحد، تخرج منه سيقان تلتحم مع بداية مراوح نخيلية أخرى[165]

والملاحظ أن التيجان في هذا المحراب تعد من أجمل الأمثلة المغربية في العمارة الإسلامية، و هي تشبه في هيئتها إلى حد كبير التيجان الأندلسية، التي ظهرت في طراز قصر الحمراء، و الخلاف الوحيد الذي يكمن بينهما يظهر في الزخرفة.

6-4-1-3- العناصر الزخرفية:

نظرا لثراء وغناء العناصر الزخرفية التي شكلت دور رئيسيا في بناء المحراب حيث تنوعت

موضوعاتها بتنوع أسلوب الخط الذي نفذت به نصوصها الكتابية، وقد لاحظت عند دراستي لهذا الموضوع أن الفنان اعتمد خطين رئيسين هما: الخط الكوفي والخط النسخي،سنتطرق لهما بالدراسة في الفصل الخاص بالكتابة:

أما بالنسبة للعناصر الكتابية في محراب مسجد سيدي أبي الحسن،فقد نفذت ضمن أشكال هندسية منتظمة، بها آيات قرآنية على أرضية من التوريق العربي[166]وذلك حسب توزيعها على الأجزاء التالية:

❖ **إطار المحراب: يشمل الأجزاء الآتية:**

- **الجزء العلوي:**

يشكل فتحة نصف دائرية منفرجة، نقشت بداخلها(صورة الإخلاص)التي تشغل المربع ،و (البسملة وسورة الفاتحة والشهادة) كتبت داخل إطار من الزخرفة النباتية (**شكل رقم :18،19**).

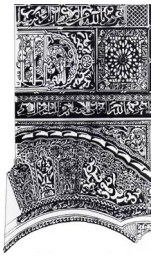

شكل رقم: 81 نماذج من الزخرفة تزين كوشة محراب مسجد سيدي ابي الحسن

91 نماذج من الزخرفة الجصية تزين محراب مسجد ابي الحسن

- **حنية العقـد:**

لم يبق من الزخرفة الزيانية سوى عقد محراب مسجد سيدي أبي الحسن، وهي موجودة بين فتحة العقد وعقد آخر من نفس الشكل، مفصصة ومركزة بالنسبة للأول، تبدو على غرار فتحة المسجد الجامع بتلمسان.

إن مساحة المركز بالنسبة لهذين القوسين قد شكلت نوعا من مقياس التناسب، وهي

محفورة سبع مرات في قطر الإطار الصغير[167] وأثنى عشرة مرة في الإطار الكبير وستة في قمة فتحة العقد، وتحتوى هذه الحنية على ما يلي:

- ✓ إفريز يحتوي على نتوءات تشبه النجارة رباعية خالية من الزخارف.
- ✓ خيط ذو بروزات.
- ✓ حافة ذات كتابة نسخية، تحتوى على آيات قرآنية كما جاء في قوله تعالى ((اللهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرض مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لاَ شَرْقِيَّةٍ وَلاَ غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَىَ نُورٍ يَهْدِي اللهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ واللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ، فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ، يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالآصَال رِجَالٌ لاَ تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلاَ بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللهِ وَ إِقَامِ الصَلاَةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ))[168]صدق الله العظيم.

❖ **صنج العقد:** البعض منها مزين بكلمة (الله)،التي فصلت وحدها في شبكة من ورقات النخيل.

❖ **الحافة المفصصة:** تتألف من نصوص كتابية تعتبر تكملة للكتابة السابقة، ويحتوي على ما يلي:

((أعوذ بالله من الشيطان الرجيم صلى الله على سيدنا محمد وعلى أله وصحبه وسلم تسليما)).

((يَا أَيُّهَا الذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إلاَّ وأَنْتُم مُّسْلِمُونَ واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إدا كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً ونتم على شفى حفرة من النار فأنقطكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون))[169].

(هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله)[170] (وكفى بالله وليا وكفى بالله نصيراً))[172].

❖ **الحواف المستطيلة:**

لا تزال شاخصة في هذا المسجد، تزينها كتابة من الخط ألنسخي مقسمة إلى ثلاثة أقسام،تفصلها وردتان تشغلان زوايا المستطيلين العلويين.

❖ **الحافة ذات الكتابة الكوفية:**

بالنسبة لواجهة المحراب فقد ظهر بها الخط الكوفي بشكل هندسي، ونفذت به الصيغ الدينية على أرضية نباتية من الرقش العربي، أو التو ريق بأشكال هندسية مستطيلة.

تتألف الكتابة من ثلاثة أشرطة مستطيلة، و أربعة مربعات نشغل أركان المستطيل، توجد بداخلها إطارات مزخرفة تنتهي بعقود نصف دائرية ذات نطاقات مقوسة، وهي تدل بدورها تضم كتابة كوفية.

أما بالنسبة للحافة المستطيلة العليا اقتصر ظهورها على مسجد سيدي أبي الحسن، حيث تتكون من ثلاثة أشرطة وأربع مربعات حليت بنصوص كتابية نسخية.

❖ **اللوحة الأفقية العليا:**

تشغل طول البائكة كتابة تؤثثها شبكة زهرية هندسية تحتوي على نجوم ذات ثمانية أقطاب، بمقياسين مختلفين من أشكال سداسية مستطيلة، قائمة في وسط أضلاعها الكبرى زائدة مثلثة غير منتظمة ذات أربعة أقطاب.

❖ **المويجة**[173] : اقتصر استعمالها على جامع سيدي أبي الحسن، وتتألف من لوحتين مستطيلتين، تحتويان ما يلي:

- حافة مزخرفة بكاتبة من الخط النسخي .
- حافة ذات زخرفة هندسية مزدانة بمعينات.
- شريط مستطيل زخرفي ينتهي بعقدين نصف دائريتين مفصصين مؤنثين بكتابة كوفية. يمكن أن نقرأ على اللوحة اليمنى العبارة التالية:

(بنى هذا المسجد الأمير عامر إبراهيم أبن السلطان أبي يحي).

وعلى اللوحة أليسرى (يغمراسن بن زيان في سنة ست وتسعين وستمائة من بعد وفاته رحمة الله)،هذه الكتابة تقع على لوحة رخامية مقاساتها متر واحد على 0،53 سنتم مثبتة في الجدار الغربي،كما نجد نظير هذه الكتابة في إفريز المحراب،على لوحتين مستطيلتين من الجبس المنقوش، كلنا هما تحيط بها حاشية مستطيلة وشيت بأدعية ذات أحرف عادية، وفي وسط الكتابة التذكارية حروف كوفية مزدانة برهيرات[173].

نلاحظ أن الكورنيش الخماسي الشكل قد حظي هو الأخر بالزخارف الكتابية التي تحمل

مواضع مختلفة، نظرا لأهميتها والتي تعتبر جزء مكملا لهذه الزخارف.

❖ **الكورنيش العلوي بقبيبة المحراب:**

على هيئة ثماني الأضلاع، زخرف بكتابة من الخط ألنسخي، وقد قسمت إلى سبعة أقسام بواسطة وريدات تشغل الزوايا السباعية . كالأتي:

6-4-1-3-1- توزيع العناصر النباتية:

يمكن تحديد الزخرفة النباتية التي تزين واجهة محراب مسجد سيدي أبي الحسن فيما يلي:

✓ **الأوراق:** تعد عنصرا رئيسيا في زخرفة المبنى، إذا تعدد أنواعها واختلفت أشكالها، فنجد الورقة التخيلية البسيطة و إ المزدوجة الملساء ، والمزدوجة المفرغة، أما المراوح النخيلية التي ظهرت بشكل كبير بالزخرفة الزيانية، ولا سيما في جامع سيدي أبي الحسن بصورتين، إحداهما بسيطة ذات فص واحد، بينما الثانية ملساء ويبدو أن المروحة النخيلية الملساء قد ساد استعمالها بشكل واسع في الزخرفتين الزيانية و المرينية.

وهكذا ظهرت منفردة أو متقابلة تضم ساق مرنة، تلتصق في غالب الأحيان في نهايات الحروف أو بداية أوراق أخرى، مثل الورقة النخيلية التي تشكل شبكة من الزخارف، قوامها سيقان ومراوح نخيلية مشبكة، وفي بعض الأحيان تمتزج مروحتان تخيليتان معا،تجمع بين مروحة ملساء مكونة من فص واحد استعملت كأرضية لمروحة مكونة من فصين[174]

وهنا نلاحظ أن المروحة النخيلية الملساء قد استعملت في هذا المجال كأساسات لعناصر نباتية متشابكة، وكأرضية قاعدية للزخرفة الكتابية، تزين كوشاة عقود الجدران و صنجات عقد المحراب[175] .**(شكل رقم: 20).**

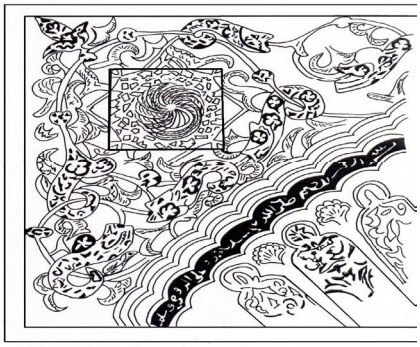

شكل رقم : 02 نماذج من الزخرفة تزين كوشة عقد محراب مسجد سيدي ابي الحسن .

أما في الأندلس فقد تجسدت في زخارف الزهراء، التي تعتبر المثال الأول الذي استوحى منه الفنان المغربي الأساليب الفنية، جاعلا الورقة النخيلية ذات الكأس المتوسط وبنفس الكيفية التي جعلها الفنان الزياني في أشكال ثانوية، تمثلت في شكل علامة الاستفهام أو النجمة[176] وفي حالات أخرى تتخذ المروحة النخيلية شكلا صغيرا، مزينا بزخارف على الحواف تشبه الحلزون أو الثقب الصغير، كمال زخرفت الأخرى بزهيرات أو مثلثات صغيرة. [177] كما استعمل فنانو العصر الزياني و المريني المروحة النخيلية الملساء،لأنها سهلت عملية الزخرفة خاصة بالنسبة للتشبيكات النباتية المعلقة، التي زخرفت بها المساحات المنتظمة،مثل الجدران وواجهات المحاريب[178]والحواف والنوافذ المخرمة(**شكل رقم:21**).

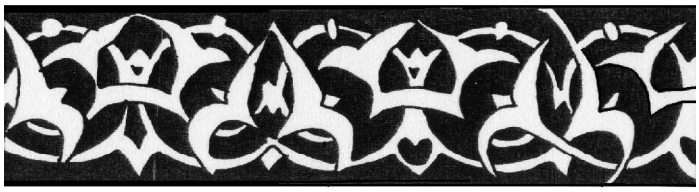

شكل رقم 21:نماذج من الزخرفة التي تزين إطار المحراب.

- ✓ **السيقـان:** ظهرت بشكل بسيط في ضفائر وعناصر نباتية ملتصقة وتشبيكات مختلفة ومتنوعة اتخذها الفنان كعنصر نباتي لربط المراوح النخيلية التي شكلت مع السيقان.
- ✓ **الأشكال المركبة** : تتمثل في التشبيكات النباتية (الأرابيسك)، تقوم الأولى على تجمع المراوح النخيلية الملساء، أو المزدوجة فوق أرضية من السيقان الرقيقة و الزهيرات، إلى جانب المراوح النخيلية الصغيرة ذات الفصين، وقد كونت هذه العناصر الزخرفية شبكة واحدة من الزخرفة ،نجدها محاطة بإطارات مستطيلة الشكل تحمل كتابات، وتمثل هذه الشبكة الزخرفية أرضية من الكتابات، تظهر على هيئة ضفـائر معقـدة، نجدها في كوشـاة العقـود وواجهـة المحراب[179] ويمثل هذا النوع من الزخرفة إحدى خصائص الزخرفة الجصية في القرن 7 هـ/13 م، التي سادت في كل العمائر الزيانية و المرينية رغم الاختلاف الذي نلاحظه في تنوع العناصر التي تكون هذه الزخرفة.

وقد نال مسجد سيدي أبي الحسن قسطا كبيرا منها، فاتخذه الفنان عنصرا أساسيا للزخرفة الجصية، وتمكن من استغلال ظاهرة الهروب من الفراغ[180]

و جديرة بالذكر، أن الزخرفة النباتية في مسجد سيدي أبي الحسن، تغلب عليها المسحة الأندلسية البحتة، وتتجلى في العناصر الزخرفية المختارة من المراوح النخيلية وكيفية تشكيلها

بطابع واحد، دون وجود أي خلط مع العناصر المعمارية من زخارف هندسية ونباتية خاصة في المحراب، والتي شكلت بطريقة أندلسية كما هو الشأن في الصنجات التي تحلى عقد المحراب مع العقود المفصصة[181] وإذا ما تتبعنا تطور العناصر الزخرفية النباتية نجد أنها الوثيقة المؤرخة للفن الإسلامي في القرن7 هـ/13 م بالمغربين الأوسط والأقصى.

-1-4-6 -2-3 توزيع العناصر الهندسية:

تشغل العناصر الزخرفية المختلفة في المحراب أهمية خاصة، ويبدو لنا ذلك جليا في توزيعها داخل الأطر، حيث استخدم الفنان الاطر بأسلوب مشابه بين بعضهما البعض محرابي سيدي أبي الحسن وسيدي أبي مدين، متخذا إياها كوحدة لتقسيم المساحة المراد زخرفتها إلى مساحات صغيرة، حتى يسهل على نفسه عملية الزخرفة في مسجد سيدي أبي الحسن، فشملت مساحة كبيرة مزجها بالزخارف النباتية والكتابية ليعطي الواجهة منظرا جماليا،أخذ أهمها وهي الإطارات المستطيلة، وكذالك تلك التي اتخذت شكل ضفائر وعناصر هندسية مختلفة، قوامها مربعات أو خطوط متقاطعة تشكل في وسطها أشكال سداسية، ويبدو أن هذا النوع من الزخرفة كان قد استعملها الفنان ألموحدي لتقسيم المساحات المزخرفة، التي نجد مثيلاتها في الزخارف الجصية في الأندلس[182]

هذا الأسلوب نفسه أقبل عليه الفنان الزياني و المريني في الزخرفة الجصية، ويتجلى ذلك في واجهتي محرابي مسجد سيدي أبي الحسن وسيدي أبي مدين، تحيط بهما أشرطة كتابية وزخارف نباتية معقدة.

3--1-4-6 الزخارف المركبة :

عبارة عن أشكال زخرفية ساد استعمالها في الزخارف الهندسية في محراب مسجد سيدي أبي الحسن، وتتألف من تشبيكات هندسية تقوم على عنصر أساسي هو المربع، وعلى تلعيبات وأشكال هندسية على هيئة نجوم.

أما في جامع سيدي أبي مدين نجدها تحلى أفاريز الجدران، قوام زخارفها معينات ونجوم صغيرة، وأشكال مضلعة، ومربعات متقاطعة تشكل نجوما صغيرة، كما احتوت سقوف سيدي أبو مدين على أمثلة رائعة من هذا النوع، زخارفها عبارة عن أشكال هندسية مختلفة تقوم على عنصر أساسي هو المربع، ونجوم ذات تسعة رؤوس، ومعينا أو أشكال سداسية ودوائر ومثلثات، وضعت هذه الأشكال المختلفة بمثابة لوحة واحدة لا نستطيع أن نفرق بينها، هذا ما نجده في الشمسيات الثلاث التي تحلى واجهة المحراب، ومن خلال وصف العناصر الزخرفة بواجهة

المحراب، يظهر أن الصفة المميزة لها هي الامتزاج والتزاوج والانسجام بين العناصر النباتية والكتابية والهندسية، التي أعطت للمشهد الزخرفي عامة روعة وجمالا ورونقا.

وهذا التطور الفني يدل على مدى التقدم الذي عرفه الفن الإسلامي في العصر الزياني و المريني.

الخاتمة:

لقد توصلنا من معالجتنا لموضوع تطور المحراب في عمارة المغرب الأوسط خلال العصر الإسلامي منذ بداية الفتح إلى نهاية العصر المريني، إلى عدة نتائج نرجو أن تكون ذات قيمة في مجال البحث الأثري والتاريخي لبلاد المغرب في العصور الوسطى نقتصر ها فيما يأتي على ذكر اهمها:

نستنتج من مخططات المحاريب أن شكل المحراب المجوف هو من أهم العناصر، وقد احتوى بحثنا على عدد من المحاريب المجوفة اختلفت أعماقها فبعضها عميقة والأخرى قليلة العمق،كما اختلفت زخارفها من الواحدة إلى الأخرى، ونشير هنا إلى وجود عدد من المحاريب ذات التجاويف المستديرة و البيضاوية والمستطيلة والشبه المنحرفة والمدرجة والمزدوجة و السداسية والخماسية الأضلاع منتشرة في مناطق العالم الإسلامي.

فقد كان قيام مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم من معالم قيام أمة الإسلام في المدينة، ثم تطورت الجماعة ونمت واتسعت وتطور الجامع معها دائما واتسع وما من دولة إسلامية قامت في الحجاز أو كان لها عليه سلطان، إلا أضافت إلى المسجد شيئا أو أعادت بناءه إلى يومنا هذا، ومن هنا نستنتج أن تاريخ مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم، هو سجل لفصول حافلة من تاريخ معظم دول الإسلام الكبرى في المشرق والمغرب.

كشفت هذه الدراسة أن المحاريب تطورت تطورا بعيدا، وأخذت أشكالا شتى في مختلف طرز العمارة الإسلامية، وأصبحت على مر العصور ناحية من نواحي التنافس والابتكار بين المعماريين.

ويجمع العلماء على أن محراب مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم الأول في المدينة موجهة نحو الكعبة بغاية الدقة، ولهذا قيل لا يجتهد في محراب رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنه صواب قطعا إذ لا يقر على خطأ، أي أنه عليه الصلاة والسلام لا يوافق على خطأ، ومادام قد صلى إليه فهو صحيح، فلا مجال للاجتهاد بخلاف محاريب المسلمين، والمراد بمحرابه عليه

الصلاة والسلام مكان مصلاه، فإنه لم يكن في زمنه محراب.

وكان المسلمون يجدون صعوبة في تحديد مواقع محاريب المساجد، لأن ذلك يتطلب معرفة دقيقة بعلم الفلك لتحديد اتجاه الكعبة بالدقة، والظاهر أن الكثير من المحاريب وضعها من ليس له معرفة بهذا الفن ولا حرر فيه التحرير التام، وتركت كذلك تبركا ومقتدين بمن نصبها كما في جامع عمرو بن العاص عندما جدده عمر بن عبد العزيز واتخذ فيه محراب مجوفا، ومسجد ابن طولون، ومحراب عقبة بن نافع أثناء الزيادة، ومحراب المسجد الجامع بقرطبة الذي لم تكن قبلته صحيحة التوجيه، فقد تحدث الفقهاء في ذلك فلانحراف قليل.

إذن فالنوع الأول هو التجاويف ذات الشكل المستدير، وأقدم محراب من هذا النوع هو المحراب المسجد الجامع بالقيروان الذي يعود إلى العصر الأموي.

و نستخلص من هذه الدراسة أن هذا المحراب ابتكار ظهر في المغرب الإسلامي على يد الصحابي عقبة بن نافع وأصحابه، ضل طوال السنين موضع إجلال وتقديس لم يمسسه أحد، هذا التجويف المستدير نراه من بين خروم زخارف المحراب الجديد ونقوشها، وبعد تكسيتة بالبلاطات الزخرفية اتخذ شكلا ثماني الأضلاع، قوسه على شكل جذوة الفرس عرضه 1،98م وعمقه1،58م ، أطلق عليه اسم الطراز المغربي، ولم تجري عليه تجديدات إلا في عصر الولاة في أواخر القرن الثاني الهجري/الثامن الميلادي ، وأهم خصائص هذا الطراز هو أن جدار القبلة يصل إلى ارتفاع نحو مترين بالمربعات الخزفية وتترك بقية الجدار بيضاء، وقد تزين بزخارف جصية.

أما المحراب المجوف يكون بسيطا وهو في الغالب من الرخام، والسبب الرئيسي في احتفاظ الطراز المغربي بشخصيته وتطوره داخل نطاق الخصائص المميزة لكل جزء من أجزاء المبنى، هو أن المغرب لم يتعرض منذ دخول الإسلام لأي تيار ثقافي خارجي إلى مطالع العصر الحديث، فبينما بلاد المشرق الإسلامي تعرضت لعدة تيارات ، فكان لذلك أثر في تغير أشكاله وطرزه المعمارية، وظل المغرب الإسلامي من حدود إفريقية-تونس على الأقل إلى المحيط الأطلسي- بعيدا عن هذه التيارات مما أتاح للمعماريين وأهل الفن الفرصة للتطور بفنونهم على نفس الأصول وفي نفس الخطوط مما أضفى على الفنون المغربية أصالة فريدة.

ولم يتعرض المغرب لتأثير خارجي إلا من ناحية الأندلس، فكانت العمارة الأندلسية دائما ذات أثر بعيد في عمائر المغرب خاصة بعد قيام الدول المغربية الكبرى-دولة المرابطين والموحدين وبني مرين-وامتداد سلطانها على الأندلس، فأصبح المغرب وما بقي من الأندلس بلدا وحدا -سياسيا وحضاريا- في تبادل التأثيرات، وفي العمارة يمكن القول أنه أصبح لها طرازا معماري

واحد.

أما العصر العباسي فقد تميز بوجود عدد كبير من المباني الدينية اخترت منها نموذجين، محراب أبي جعفر المنصور،الذي ينفرد بشكله المستدير،أي يشبه الهلال وقليل العمق لا يتجاوز 33سنتم وسعته فتحته 65 سنتم. ويتبين لنا أن هذا المحراب يتخذ شكلا مجوفا كما جرت العادة في محاريب العصر العباسي، مكون من قطعة واحدة ذات الرخام المجزع بالصفرة المجلوب من بلد الشام.

أما النموذج الثاني هو التخطيط الثماني الأضلاع الذي يعد حسب هذه الدراسة النموذج الأول في العمارة الإسلامية بهذا التخطيط، يتمثل في محراب المسجد الجامع بقرطبة الذي أطلق عليه اسم الطراز الأندلس ولد مع بناء المسجد على يد عبد الرحمن الداخل ،وأهم خصائص هذا الطراز رصانة البناء والإبداع في الإحكام وتوازن العقود،كما زينت الجدران في أعاليها بشمسيات رخامية وفي داخل كوة المحراب بأشكال أعمدة صماء.

و نستنتج أن هذا المحراب أنجز بنفس الطريقة التي تم عليها النموذج الأول من حيث مواد البناء التي جلبت هي الأخرى من الشام، أما أوجه الشبه فيمكن حصرها في نقطتين أساسيتين هما:

-1**النقطة الأولى** تندرج في أن المحراب مكون من قطعة واحدة، بينما الثاني مكون من عدة قطع تتمثل في الألواح المشكلة في كوة المحراب.

-2**النقطة الثانية** تتمثل في وضعية القبيبة التي وضعت في النموذج الأول نواتها تتمركز في الوسط في حين نجد الثانية جانبية مع احتفاظ القبيبتين بشكلها الموحد الذي جاء على شكل محارة.

أما إذا تطرقنا إلى عصر المرابطين فنجده يتميز بحركة البناء والعمران حيث خلفوا لنا مجموعة من الآثار اخترنا منها نموذجين يتمثلان في محراب مسجد القرويين بفاس والمسجد الجامع بتلمسان، وقد تبين من دراستهما أنهما يتخذان نفس التخطيط وينفرد كل منهما بالشكل الخماسي الأضلاع والسداسي الزوايا، وقد خرجنا من دراستنا بمجموعة من الملاحظات أهمها:

- ✓ التخطيط: يعتبر ابتكار جديد يظهر لأول مرة في عمارة المغرب، حيث طبقت قاعدة التخطيط الخماسي الأضلاع ،وبلغت أبعاد ومقاسات محراب مسجد القرويين بفاس ، أي

أن فتحة عبارة عن قوس أكثر من نصف دائرة يبلغ قطره1،55م و ارتفاعه ر1،30م واتساع فتحة القوس1،10م، أما مقاسات النموذج الثاني فهي كالأتي: قطر الدائرة 1،53م وارتفاعها 1،31م، واتساع فتحة القوس 1،08م .

- ✓ من خلال ما تقدم نستنتج أن المرابطين ليسوا أول من استعمل المحراب المضلع بل ظهر في محراب المسجد الجامع بالقيروان ومحراب مسجد واسط ومحراب مسجد سامراء وأبي دلف وبن طولون .
- ✓ التغطية-قبيبة المحراب-جاءت في نموذج الأول مكونة من مقرنصات طويلة نسبيا انفرد بها هذا المحراب وفي النموذج الثاني جاءت على شكل خلية النحل وهذه الدقة توحي بنضج الفنان وتطوره في أساليب الزخرفة.

نظرا للفرق الزمني الذي يفصل بين عمارة المرابطين وبيني زيان ودخول تقاليد الفن الأندلسي من غرناطة والمغرب الأقصى إلى المغرب الأوسط كانت منشئات بني عبد الواد أندلسية الطراز، وبهذا استخلصنا مجموعة من أوجه الشبه والاختلاف تتمثل فيما يلي:

- ✓ مسجد سيدي أبي الحسن من أجمل المساجد التي ظهرت في عهد المرابطين.
- ✓ نظام التغطية المتمثل في القبيبة فقد جاءت بنفس الطريقة المعروفة عند المرابطين وتطورت لتصبح على هيئة خلية النحل .

هذا المحراب أجمل مثال للفن الزياني في الزخرفة الجصية من حيث تنوع الزخارف والمواضيع المختارة.

- ✓ البساطة في بناء المحاريب الشعبية التي تقترب من البداوة وتنطق بإيمان صحيح وتعبر عن إسلام صاف لا تشوبه شائبة، ولا تكلف فيه تقتصر على الحد الأدبي من عناصر العمارة المساجدية، منها مسجد أولاد الإمام الذي أنشئ خصيصا للأستاذين الأخويين، أبي زيد عبد الرحمن وأبي موسى عيسى.
- ✓ تخطيط محرابه جاء على نمط تخطيط مساجد المرابطين.
- ✓ كما استخلصنا من دراسة قبيبته أنها مكونة من مادة الجبس تحمل مقرنصات، بخلاف قبيبة محراب مسجد سيدي أبي الحسن المكونة من نفس مادة الإطار.

لم يكن بنوا مرين أقل عناية في إنشاء المساجد بالمغرب الأوسط من بني عبد الواد أنفسهم،

وإليهم يرجع الفضل في إنشاء مسجد سيدي أبي مدين شعيب بن الحسين قطب الصوفيين في المغرب، ويعتبر هذا الأثر من أجمل المساجد الأندلسية الطراز في المغرب كله.

- ✓ ومن بين النتائج التي استخلصنا ها، أن محرابه أندلسي الطراز، وهو صورة طبق الأصل لمحراب المسجد الجامع بقرطبة، كما ينفرد بالتخطيط الخماسي الأضلاع الذي عرف عند المرابطين،وينفرد بالألوان الزاهية-الأحمر القائم الأرجواني والأخضر الفاتح والأزرق والأبيض-هذه الألوان ألفت بها الزخارف بأنواعها، المختلفة.
- ✓ و جاءت القبيبة بنفس الأسلوب الذي ظهر في عهد الزيانيين-المقرنصات الدقيقة الصنع، إلى جانب وجود ميزة البساطة في هذا العصر ، التي تتمثل في محراب مسجد سيدي الحلوى ذلك الزاهد الأندلسي الذي هاجر إلى المغرب، ومن خلال دراسته توصلنا إلى أن محرابه خال من أي زخرفة، ما عدا كتابة نسخية دقيقة مطموسة تزين تيجان الأعمدة بالجزء العلوي.
- ✓ كما استخلصنا أن المواد المستعملة في بنائها هي: الرخام و الجص اللذان كان أكثر المواد استعمالا في عمارة المغرب الإسلامي، كما تعددت ألوانه منها: الأصفر والأبيض، التي استعملت في محراب جامع المنصور ببغداد وكذا المسجد الجامع بالقيروان والمسجد الجامع بقرطبة وزودت بالمادة الجصية للربط بين أجزائها.

وقد تميزت مباني المرابطين و الزيانيين و المرنيين باستخدامهم لمادة الجص، واستعمال الجص معروف في الفن الإسلامي منذ العصر الأموي وكل الطرز عرفته واستخدمته بطريقة مبتكرة، فهو ليس مجرد مادة تعطي بها الجدران لتخفي ما وراءها أو تسد بها الشقوق، ولا تستعمل كأرضية لعمل بعض الزخارف، بل كان يستخدم لتغطية مساحات صغيرة وسط زخارف لإضافة زخارف من ألوان أخرى، وينقش ويوضع داخل إطارات ويغطى بالكتابات والزخارف، أي لعب دورا رئيسيا لإكمال تشكيلة العناصر المعمارية نفسها.

وكشفت هذه الدراسة أن مساحات واجهات المحاريب مغطاة بالجص المنقوش داخل أفاريز أو بطون القباب التي تغطى تجاويف المحاريب، وتطور استعمال الجص في أشكال العمارة المغربية ، ويتمثل في محراب مسجد القرويين بفاس ، والمسجد الجامع بتلمسان، وسيدي أبي الحسن وأبي مدين. و أن جل الزخارف المستعملة بكثرة هي: الزخارف الكتابية و النباتية.

إن هذه النتائج المتواضعة التي توصلنا إليها في العمارة الدينية-المحراب-ليست نتائج نهائية، بل هي بعض ما توصلنا إليه من خلال الدراسة النظرية المتمثلة في الوثائق التاريخية والمصادر الأثرية، مدعمة ببحوثنا الميدانية لإضفاء طابع البحث العلمي الأكاديمي على موضوع دراستنا.

إن تاريخ تراثنا الإسلامي المغربي غير مستغل بشكل جدي لذلك نأمل أن تكون محاولتنا هذه إضافة جديدة في مجال دراسات تطور العمارة الإسلامية بالمغرب الأوسط في العصر ألإسلامي، و إنارة لبعض المسائل التي لم تأخذ في رأينا حقها من البحث.

هوامش البحث:

1. ابن منظور(أبو الفضل جمال الدين) لسان العرب_طبعة الدار المصرية للتأليف والترجمة،ج 1ص.296.
2. الجوهري(إسماعيل بن حماد)، تاج اللغة العربية، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، نشره حسن شربتلي، مطبعة دار الكتب، مصر، ج5،ص .1795.
3. ابن منظور المصدر السابق،ج1،ص.296.
4. الزبيدي (محب الدين)، تاج العروس،الطبعة الأولى المطبعة الخيرية،مصر1306هـ/1888م،ج1،ص.205-206.
5. المصدر نفسه، ج 1، ص 207.
6. ابن منظور، المصدر السابق، الزبيدي المصدر السابق.
7. الأتراص، تراص الشيء أي الإحكام والصنعة، ابن منظور المصدر السابق، ج7، ص.40.
8. السكري(أبو سعيد الحسين بن الحسين)، شرح أشعار الهذليين، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، وراجعه محمود شاكر،مطبعة دار العروبة، القاهرة 1385هـ/1965م، ج2، ص 489.
9. أقيال، ساعة الظهر أي القيلولة، المنجد في اللغة والإعلام، الطبعة الحادية والثلاثون، بيروت 1991م،ص 666.
10. ديوان مرؤ القيس، (بن مجر بن الحارث بن محمد)، تحقيق أبو الفضل إبراهيم، مطبعة الاستقامة، القاهرة، 1358هـ/1939م، ص304.
11. ابن منظور المصدر السابق، ج1،ص 297، الزبيدي، المصدر السابق ج1، ص 207.
12. ديوان عمر بن أبي ربيعة، شرحه محمد العناني،مطبعة السعادة، القاهرة ، ص31.
13. الآية 37 من سورة آل عمران.
14. الآية 39 من نفس السورة.
15. الطبري(أبو جعفر محمد)، تفسير الطبري، أو ما يسمى جامع البيان عن تأويل القرآن، حققه وعلق عليه محمود شاكر، الطبعة الثانية، القاهرة1373هـ/1954م ج22، ص 70.
16. الآية 11 من سورة مريم.
17. القرطبي(أبو عبد الله)، الجامع لأحكام القرآن، مطبعة دار الكتب، القاهرة، 1356هـ/1937م، ج7، ص 84 .
18. المصدر نفسه، ج7، ص 85.
19. الآية 13 من سورة سبأ.
20. الطبري، المصدر السابق، ج22، ص70.
21. الزبيدي، المصدر السابق، ج1، ص .207
22. السمهودي(نور الدين)، وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى، مطبعة الآداب والمؤيد، القاهرة، 1327هـ/1909م، ج1، ص 264.- الزركشي (محمد عبد الله)، أعلام الساجد بأحكام المساجد، حققه أبو ألوفا مصطفي المراغي،

القاهرة 1384هـ/1964م.

23. السمهودي، المصدر السابق، ج1، ص 216.- فكري(أحمد)، بدعة المحاريب، مجلة الكاتب المصري، مجلد 14، العدد14، 1369هـ/1949م، ص308-309.
24. الشيباني (محمد بن الحسين)، الحجة على أهل المدينة، علق عليه مهدي حسين الكيلاني القادري، مطبعة حيدر أباد،1385هـ/1965م ،ج1، ص 87.
25. نفس المصدر، ج1 ،ص 88.
26. الحربة: شكلها يشبه الرمح ولكنها عريضة النصل ويقصد بها الرمح القصير، القسطلاني(أحمد بن محمد)، إرشاد الساري إلى شرح صحيح البخاري، بولاق 1293هـ/1876م، ج1،ص380.
27. العنزة: أقصر من الرمح، وفي رأسها زج، المصدر السابق، ج2، ص 182.
28. السمهودي، المصدر السابق، ج1، ص 272، والإمام محمد بن محمد بن النجار، الدرة الثمينة، حققه صالح محمد جمال، مطبعة بريل، 1374هـ/1954م، ص 73.
29. أبو عمر الأندلسي(أبو عمر محمد بم محمد بن عبد ربه)، العقد الفريد، حققه أحمد أمين وإبراهيم الأنبا ري وعبد السلام هارون، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، القاهرة، 1369هـ/1949م، ج1، ص 261.
30. الآية 144 من سورة البقرة.
31. القسطلاني، المصدر السابق ج2، ص 308.
32. السمهودي، المصدر السابق، ج1، ص381.
33. Sauvaget (jean),La Mosquée Omeyyade de Midine ,Paris, 1363/1947, p 145.
34. آية 11 من سورة مريم.
35. القربي، المصر السابق، ج1 ، ص .84.
36. السمهودي، المصدر السابق، ج1، ص.271.
37. القرطبي، المصدر السابق، 7، ص .84.
38. السمهودي، المصدر السابق، ج1، ص.271.
39. فكري (أحمد)، بدعة المحاريب، مجلة الكاتب المصري، المجلد الرابع، العدد14، نوفمبر 1949، ص 206-220.
40. السمهودي، المصدر السابق، ج1، ص 193.
41. السمهودي، المصدر السابق، ج1، ص 193.
42. PEDERSON (Jons) ,<under Mihrab>In Encyclopedia of Islam. Leiden,1936,Vol iii,P,486.
43. الزركشي، المصدر السابق، ص 363.
44. المقدسي (شمس الدين)، أحسن التقاسم في معرفة الأقاليم، لبدن، 1906/1324، ج1، ص.8.
45. Miles (Georg.C), Mihrab and a study in Early Islamic, iconography (arehacologia), New York , 1952,P 162.
46. إبن بطوطة(محمد بن عبد الله)، تحفة النظار في غرائب الأسفار، القاهرة 1938/1357، ج1، ص ،71.
47. سامح(كمال الدين) العمارة الإسلامية في صدر الإسلام، مطبعة جامعة القاهرة، 1971، ص .26.
48. Miles (G) , OP, Cit, p 163.
49. الكندي (أبو عمر محمد)، كتاب الولاة القضاء، مطبعة اليسوعيين، بيروت 1908/1326، ص 66 .
50. المسعودي (أبو الحسن على بن الحسن)، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق معمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة،القاهرة 1958/1377، ج2 ، ص 344-345.
51. إبن جبير (أبا الحسين محمد بن أحمد)، رحلة إبن جبير، مطبعة دار بيروت ، 1959/1357، ص 188.

52. ابن بطوطة، المصدر السابق، ج1، ص، 54.
53. فكري (أحمد)، (بدعة المحاريب) مجلة الكاتب المصري، ص 306-320.
54. عبد الرحيم (غالب) ،موسوعة العمارة الاسلامية،الطبعة الاولى ،جروسبرس، بيروت،1408هـ/1988م، ص 352.
55. حسين مؤنس ، المساجد، عالم المعرفة، عدد 37، المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب، الكويت، 1401هـ/1981م، ص75.
56. عبد الرحمان غالب ، ص 352.
57. زكي محمد حسن، فنون الإسلام، دار الرائد العربي، بيروت، 1981م، ص 36.
58. فكري (أحمد)، (بدعة المحاريب)، مجلة الكتاب المصري، ص 1306-320، والمسجد الجامع القيروان، مطبعة دارا لمعارف، القاهرة، 1936/1355، ص 45.
59. Sauvaget (J) , OP.cit, p146.
60. ابن الحاج،(أبو عبد الله محمد بن محمد العبد ري) المدخل، الطبعة الأولى، القاهرة، 1929/1348، ج2، ص 272-273.
61. 1- SAUVAGET j ; OP. CIT. P. 146.
62. فكري (أحمد) مساجد القاهرة و مدارسها، القاهرة، 1385/ 1965من ج 1، ص 145.
63. وجدي (محمد فريد) دائرة المعارف القرن الرابع عشر و العشرين، المجلد السابع، الطبعة الثالثة، دار الطباعة و النشر ، بيروت، 1971م، ص 627.
64. الآية 144 من سورة البقرة.
65. الآية 1 من سورة الإسراء
66. الآية 14 من سورة طه.
67. هناك رواية بن عباس الذي يؤكد كراهية الرسول(ص) قبلة بين المقدس لأنها كانت قبلة إبراهيم عليه السلام، فقال مجاهد:(من أجل اليهود قالوا: يخالفنا محمد في ديننا ويتبع قبلتنا) وقال مقاتل بن حيان(لما أمر رسول(ص) أن يصلى نحو بيت المقدس قالت اليهود يزعم محمد أنه نبي وما نراه أحدث في نبوته شيئا أليس يصلي نحو قبلتنا ويستسن بسننا،فإذا كانت هذه النبوة فنحن أقدم وأفوفر نصيبا فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك فشق عليه وزاده شوقا إلى الكعبة)، النويري ، (شهاب الدين أحمد) نهاية الارب في فنون الادب، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1375/، ج17، ص 329.
68. النويري، المصدر السابق، ح17 ، ص 329 .330.
69. النويري، المصدر السابق، ج17، ص 318.
70. قال رفاعة بن قيس و قرذمة بن عمرو، وكعب بن الأشراف، ورافع بن ابي رافع، والحجاج بن عمرو والربيع بن الربيع أبن أبي الحقيق فقالوا: يا محمد ما ولاك عن قبلتك التي كنت عليها نتبعك ونصدقك، النويري المصدر السابق، ج ، ص .318.
71. الآية 143 من سورة البقرة.
72. نفس المصدر، ج17، ص 308. و الشيباني ، المصدر السابق ،ج1،ص 88.
73. اختلف الناس في تحديد اتجاه القبلة فقيل: (أن شخصا جاء إلى عقبة في منامه، وسمع صوتا يناديه أين يضع قبلته ومحرابه، و في الصباح أخذ اللواء وكان يسمع صوت التكبير أثناء مشيه وعندما انقطع التكبير ركز اللواء وقال هذا محرابكم) ، وقبلة هذا المسجد منحرفة نحو الغرب نتيجة عدم التدقيق في استخراج سمت القبلة، ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب في اخبار ملوك الأندلس والمغرب، حققه كولان وليفي برومنسال، بريل، 1948/1368، ج1، ص 20-21.
74. الآية 191من سورة أل عمران.

75. الآية 40 من سورة يس.
76. Taton(René) Hidtoire générale des Sciences antiques et médivales (P.U.F), Paris 1957,T1, P.489.
77. الأنلام (analemme) هي وصف الكرة الأرضية على سطح مستوى جيب يرسم عليه مقاطع مختلفة لدوائر ويتم هذا عن طريق خطوط عمودية على سطح، هذا ما سماه المعرضون بالإسقاط الأرنوعرافي.
78. Selizer (Paul), Le climat de L'Algérie, Impr. La Typolitho , Alger,1946, p 219.
79. Philibert (Marcel), La Quibla et le Mihrab,La grande Mosquée, Lithographie Alger, 1838.1972 p52 .
80. Commissaire (H), Tables de Logarithmes et de Valeurs naturelles des raports Division sexagesimale division décimale 6émé edition,Paris,1964, p 247.
81. Philibert (M), OP .cit , p 52.
82. Philibert (M), OP .Cit, p 52.
83. الميزاب يقع في أعلى الصفح الذي على الحجز، وهو من الذهب وسعته شبر واحد، وهو بارز بمقدار ذراعين والموضع الذي تحت الميزاب مظنة (مظنة الشيء= موضعه) استجابة الدعاء، وتحت الميزاب في الحجر هو قبر سيدنا إسماعيل عليه السلام، وعليه رخامه خضراء مستطيلة على شكل محراب متصلة برخامة خضراء مستديرة وكلتاهما سعتها مقدار شبر، وكلتاهما غريب الشكل رائقة المنظر وإلى جانبه مما يلي الركن الغربي قبر أمه هاجر عليها السلام وعلامته رخامة خضراء مستديرة سعتها مقدار شبر ونصف وبين القبرين سبعة أشبار، رحلة ابن بطوطة ،المصدر السابق، ص 135.
84. المقريزي، الخطط المقريزية، المسماة بالمواعظ والاعتبار، يذكر الخطط والآثار، يختص بأخبار إقليم مصر والنيل وذكر القاهرة، وما يتعلق بها، مطبعة العرفان لبنان، 1379 1959، المجلد الثالث، ص 214-215.
85. البلاذري (احمد بن يحي)، فتوح البلدان، تحقيق عبد الله أنيس الطباع وعمر الطباع، مطبعة دار النشر للمجامعيين ،1377-1957ص.20-21.
86. السمهودي، المصدر السابق، ج1، ص 106-107.
87. السمهودي، المصدر نفسه، ص، 107-108.
88. البلاذري، المصدر السابق ، ص 20 .
89. الشافعي (فريد)، العمارة العربية في مصر الإسلامية، عصر الولاة، الهيئة العامة للتأليف والنشر، القاهرة، 1970/1390، المجلد الأول، ص 75.
90. البعقوبي(أحمد بن أبي يعقوب)، البلدان، مجلد واحد من كتاب الأعلاق النفسية لابن وستة ،ليدن، 1891/1309، ص.191.
91. النويري، المصدر السابق، ج16، ص 344.
92. السمهودي المصدر السابق،ص 116، أحمد فكري، (بدعة المحاريب) ، ص 315.
93. Pederson(Jons), <Under Mihrab> In Encyclopedia of Islam,p.486
94. فكري (احمد)، (بدعة المحاريب) ، ص 308.
95. السمهودي، المصدر السابق، ص 139. وأحمد فكري، نفس المرجع، ص 315..
96. فكري (احمد) ، المرجع نفسه.
97. البلاذري، المصدر السابق، ص21.
98. فكري (أحمد)، المرجع السابق، ص .315.
99. الطبري (أبو جعفر محمد بن جرير)، تاريخ الأمم والملوك، مطبعة الاستقامة، القاهرة، 1358هـ/1939 ،ج2،

ص .1194.
100. المقدسي، المصدر السابق، ج1، 81.
101. لبكري (أبو عبيد الله)، المغرب فيذكر افريقية والمغرب، الطبعة الثانية، الجزائر، 1329هـ/1911م نشره وحققه دوسلان، 1965، ص. 23. وابن عذارى المصدر السابق، ج1 نص.13.
102. المصدر نفسه، ص 22.
103. المصدر نفسه، ص 24.
104. المصدر نفسه، وفكري (أحمد)، المسجد الجامع بالقيروان، ص. 14.
105. ابن غدارى، المصدر السابق، ص 13.
106. تروى بعض النصوص أن عقبة رأى في منامه أنه أتاه أتى، وأمره أن يضع لواء، على كتفه إذا أصبح الصباح ويسير فإنه سوف يسمع تكبيرا لا يسمعه غيره، فحيث ينقطع التكبير فهو المكان الصحيح للمحراب/ ابن عذارى المصدر السابق، ص.11.
107. Marcais(G) Manuel d'art musulman,Paris, 1926, p19.
108. تم بناء المسجد بالصخر والحجر والآجر بعد أن هدم، وبني المحراب كله بالرخام من أسفله إلى أعلاه، وهو منقوش بكتابة مشكلة في شريط ،هذا الرخام مجزع بأسود ناصع البيان شديد السواد،البكري، المصدر السابق، ص 23.
109. فكري(أحمد)، المسجد الجامع بالقيروان، ص 136.
110. 1 - الآية 1، 2، 3 من سورة الإخلاص.
111. معقبتين بالقصب، ملسوقتين الواحدة فوق الأخرى، المنجد الأبجدي، ص 797.
112. ضبات من الحديد، قطع من الحديد على شكل صفائح، المرجع نفسه، ص 646.
113. ملفقة، قطع ملتصقة يبعضها البعض، ويقصد بها تاج العمود المكون من عدة قطع، المرجع نفسه، ص .875.
114. الخطيب البغدادي(الحافظ أبي بكر أحمد بن على)، تاريخ مدينة ألسلام ، ألقاهرة 1931/1349 ،ج1، ص 107-108.
115. الخطيب البغدادي، المصدر نفسه.
116. ابن جبير، المصدر السابق ص 33-34.
117. - Herzfeld und sarre, Archalodische, Reis in phrate Tigris Gebis,Berlin 1919,Bond II,p136.
118. سركيس (يعقوب) مباحث عراقية، القسم الأول ،بغداد ،1367هـ/1948م،تديم محمد رضا الشبيبي، ص 322.
119. سركيس (يعقوب) مباحث عراقية، القسم الأول ،بغداد ،1367هـ/1948م،تديم محمد رضا الشبيبي، ص 322.
120. جوامع ومساجد بغداد، مجلة العرفان ،المجلد24، سنة 1353هـ/1934م،ج9، ص898..
121. الخطيب البغدادي، المصدر السابق، ج1، ص 108.
122. جريدة المفيد البغدادي، العدد 396،لسنة 1925.
123. فرنسيس(بشير) والنقشبندي (ناصر)،المحاريب القديمة في متحف القصر العباسي، مجلة سومر،العدد7،لسنة 1951، ص221.
124. PEDERSON (JONS) , Under Mehrab , in Encyclopedia Of Islam , vol 3 ,p 486.
125. ورقة الأكانتس: تسمي شوكة اليهود، وهي ورقة مشرشرة شائعة الاستعمال في الزخرفة الرومانية و البيزنطية.
126. Herzfeld und Sarre, OP, Cit, p139.
127. الشافعي(فريد)، العمارة العربية في مصر الإسلامية، عصر الولاة، المجلد الأول،ص 618.
128. سالم (عبد العزيز)، تاريخ مدينة المرية الإسلامية ، دار النهضة العربية ،بيروت 1969،ص147-148.

129. للازوردي: معدن مشهور يوجد في جبال أرمينيا وفارس ،وأجوده صاف شفاف الضارب إلى الأزرق والضارب إلى الحمرة و ، الخضرة ، المنجد الأبجدي،الطبعة الثانية ،دار الشرق،بيروت 1986/1406م،ص859.
130. الإدريسي(الشريف محمد بن عبد العزيز)،وصف المسجد الجامع بقرطبة ،ص 8،من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الافاق،نشره ألفريد ديسوس لمار مع الترجمة الفرنسية ،الجزائر 1949.
131. المقري، نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب، ج2، ص 90.92.
132. سالم (عبد العزيز)، قرطبة حاضرة الخلافة في ألأندلس ج1،ص327.
133. الآية 43 من سورة الأعراف.
134. **Provençal (Levi) , inscriptions Arabes d' Espagne, Paris 1931, T 1 ,P 12.**
135. **Amador DE Los (Rodrigo) , Inscriptions Arabes DE Cordoba, Madrid 1880, P222- 223.**
b- 161 وجوميث مورينو، المرجع السابق، ص.
136. الآية 238 من سورة البقرة.
137. الآية 22 من سورة لقمان.
138. جوميث مورينو ، المرجع السابق، ص161.
139. الآية 6 سورة السجدة.
140. (العالمين) حذف حرف الإلف. - الآية 65 من سورة غافر.
141. **Provençal (Levi) , OP.CIT , P 15.- Amador DE LOS (R) , OP. CIT ,P 221 .**
142. الآية 23 من سورة الحشر.
143. التزي(عبد الهادي)، المسجد والجامعة بمدينة فاس، دار الكتب اللبنانية بيروت، 1973، ج1، ص 66.سالم (عبد العزيز)، تاريخ المغرب الكبير، بيروت، 1981، ج2، ص .753.
144. **Terrasse (H), Chapiteaux, Omeiyabes d'Espagne a la Mosquée d'al quarawiyine de Fés, Madrid,1963,Vol28 ,p.211-217.**
145. الآية 37 من سورة النور.
146. الآية 76 من سورة الحج.
147. الآية 78 من سورة الإسراء.
148. بورويبة (رشيد) المساجد في الجزائر، سلسلة الفن والثقافة، مدريد، 1391م ج 4 ص.21.
149. جوميث مورينو، المرجع السابق، ص 141-142.
150. **Bourouiba(R) , L'art religieux musulman en Algérie, p. 79-**
151. **Ibid, p.80.**
152. **Ibid, p.80.**
153. الربعية : حلية معمارية على شكل ربع دائرة.
154. في هذه الآية الكريمة ينقص حرف الواو.
155. الآية 76 من سورة الحج.
156. الآيتان36-37 من سورة النور..
157. سالم (عبد العزيز) أسرار الجمال في الفن الإسلامي، المجلة عدد 12، القاهرة ،1958ص90.
158. **Bourouiba (R), op .Cit .p 101.**
159. **Ibic, p. 95.**
160. **Ibic, p. 97.**
161. **Bourouiba (R) op.cit.p92.**

مجلة "منبر التراث الأثري"
ISSN: 2335-1500, EISSN: 2602-7267

162. Piquet(Victor),Autour des monuments arat, es et du Maghreb. Maison neuve. Paris 1947,.p.135.
163. Bourouiba (R), op.cit.p,17.
164. Marcais (G) et (William) Les monuments aiabes de Tlemcen. P.82.
165. Bourouiba(R),.L'Artreligieuxinusulman,p155.
166. Op.cit, p, 117.
167. Marcais(G), et (W), Les Monuments Arabes de Tlemcen, p 176-178.
168. Marcais(G),L'Algérie, Imprimerie, Algérienne, Alger,1906,p,112..
169. Bourouiba (R) , L'Art religieux Musulman ,p118.
170. الآيات 35-36-37 من سورة النور.
171. الآيتان 102-103 من سورة آل عمران.
172. الآية 33 من سورة التوبة.
173. الآية 45 من سورة النساء.
174. المويجة، حلية معمارية متوجة من أعلى الإفريز.
175. بورويبة (رشيد)، الكتابات الأثرية في المساجد الجزائرية، ص 78.
176. Coilles (Jacques),La mosquée de Hacen à Rabat, Paris, 1954, p 105.
177. Van Berchem (Max), «l'Art Musulman au Musée Tlemcen » Journal des Savants, Paris 1906.p417
178. Op.Cit,p417.
179. Bourouiba(R), L'Art religieux Musulman ,p.141.
180. Marçais (G), Mannuel d'Art Musulman. P.134.
181. Terrasse(Henri) et Hainaut (Jean) Les Arts décoratifs au Maroc., paris, 1928,p.76.
182. Marçais (G), Manuel d'Art Musulman, p,73.
183. Marçais (G), op, cit, p. 73.
184. Ibid .p.11.
185. Ibid .p.253. - Marçais (G), L'Architecteeture musulman d'Oeident. P .358.